الفصل الأول
بناء الألفاظ

المبحث الأول
بناء الجملة الطويلة

يحتوي هذا المبحث على العناصر التالية:

1. مدخل: فيه بيان بمفاهيم الإطلاقات:

بسط النص – الإطالة – اتجاهات الإطالة (الامتداد – التفرع – التعدد) – أصل المعنى – الاتصال والانفصال بين الجمل.

2. طرق إطالة الجملة.
3. اتجاهات إطالة الجملة الطويلة.
4. خصائص بناء الجملة الطويلة:
   - قطع سياق التعدد بجمل مستأنفة، ثم العودة لسياق التعدد.
   - ارتباط الجملة الأطول في النص بأصل المعنى فيه.

1- مدخل: بيان بمفاهيم الإطلاقات:

ينهض هذا المبحث على خمسة إطلاقات رئيسة وثلاثة إطلاقات فرعية، تمثل إجراءات تحليلية لبناء الجملة الطويلة، هذه الإطلاقات هي:

1-1 بسط النص:

ويُقصد به: تشجير الجمل في النص. وقيمة هذا المفهوم التحليلي بيان مواضع الاتصال والانفصال اللفظي والدلالي بين الجمل في النص، وبيان مواضع التقديم والتأخير والحذف والصور البيانية والشعرية في سياقاتها الخاصة بسباقها ولحاقها، وفي سياق النص كله، وكذلك بيان حركة المعاني والدلالات في النص.

وبهذا الشمول لتحليل عناصر بناء النص اللفظية والتصويرية والدلالية يكون هذا الإطلاق هو الأعم من بين الإطلاقات المستخدمة في هذا الفصل والفصول التالية.

2-1 الإطالة:

يتحدد مفهوم الإطالة في هذا البحث بأنه: زيادة عناصر التركيب في الجملة عن عنصريها المؤسسين، المسند والمسند إليه، بجملة أو أكثر، سواء أكانت الإطالة لأحد العنصرين المؤسسين أم لعنصر من العناصر غير المؤسسة، التي هي نفسها عناصر إطالة، أم الجملة ككل[1].

يلاحظ على هذا التعريف أنه يقصر تحديد عناصر الإطالة في الجملة على الجمل دون المفردات وأشباه الجمل؛ ذلك أن وحدة قياس إطالة الجملة في نص شعري كامل لا يسعها أن تقف عند الإطالة بعناصر أقل من الجملة؛ لأنه كلما كبر المقيس كبرت وحدة القياس[2].

3-1 اتجاهات الإطالة:

من خلال التحديد السابق لمفهوم الإطالة يتحدد مفهوم اتجاهات الإطالة، وهي ثلاثة:

أ- اتجاه الامتداد:

يكون إذا طال عنصر واحد من عناصر الجملة سواء أكان عنصرًا إسناديًّا أم فضلة، أم طالت به الجملة ككل، بطريقة أو أكثر من طرق الإطالة غير طريقة التعدد.

---

(1) قدم الباحث عزت محمد عبد الرازق لبنة معنى اصطلاحيٍّ لطول الكلام أنه "امتداد بناء التركيب من خلال كثرة مكوناته أو تباعدها، أو الفصل بينها، أو اشتماله على عناصر ممتدة، أو أي طريقة أخرى تؤدي إلى إطالة التركيب، وتسمح بها قواعد اللغة". جاء هذا التعريف في رسالته للماجستير "أثر طول الكلام في بنية الجملة العربية"، مخطوط بدار العلوم 1421هـ = 2000م، ص 17.

(2) قدم د. محمد جمال صقر تحليلًا لإطالة الجملة في دراسته "الأمثال العربية القديمة، دراسة نحوية" مطبعة المدني 1421هـ = 2000م، وقدم أ. نعيم محمد عبد الغني تحليلًا مماثلًا في رسالته للماجستير بعنوان "إطالة بناء الجملة العربية في صحيح البخاري"، مخطوط بدار العلوم، 2005م .. كلتا الدراستين تناولت نصًّا موجزًا هو المثل والحديث النبوي الشريف، لا بطول نصوص شعرية، أقلها طولًا عدة أبياته خمسة عشر بيتًا، وأطولها مائة وستة وعشرون بيتًا هي نصوص الجمهرة؛ مما اقتضى مني هذا القصر.

ب- اتجاه التفرع:

يكون إذا طال أكثر من عنصر من عناصر الجملة، سواء أكان عنصرًا إسناديًّا أم فضلة، أم طالت الجملة ككل، بطريقة أو أكثر من طرق الإطالة غير طريقة التعدد.

ج- اتجاه التعدد:

يكون إذا طال عنصر أو أكثر من عناصر الجملة بتعدد الوظيفة النحوية؛ كالخبر والمفعول به والنعت والحال والعطف[1]. وقد خصت الدراسة طريقة الإطالة بتعدد الوظائف النحوية باتجاهٍ؛ لأن الجمل الأطول في النصوص لا تطول إلا من هذا الطريق؛ ومن ثم فإن صورة الجملة في التشجير تختلف عن صورتها في الاتجاهين السابقين، كما سيتضح عند التحليل.

وتجدر الإشارة إلى أن الجملة الواحدة قد تطول في اتجاهين من هذه الاتجاهات الثلاثة، وقد تطول في الاتجاهات الثلاثة جميعًا، كما سيتضح عند التطبيق.

4-1 أصل المعنى[2]:

هو دلالة النص الكلية التي تنبثق عنها كل المعاني في النص، وتكون خيطًا دقيقًا ينتظم هذه المعاني. وتكون هذه الدلالة ظاهرة، وقد تخفى فتُدرك من خلال "مثير المعاناة" أو

(1) أضفت العطف إلى طول التعدد مراعاة لصورة التشجير الذي بنيتُ عليه تحليل الجملة الطويلة؛ لأن العطف لا تختلف صورته في التشجير عن صورة الوظائف النحوية المتعددة كما سيتضح بعد ذلك، رغم أن "شرط التعدد عدم الاقتران بالعاطف" كما ذكر د. حماسة عبد اللطيف في كتابه "بناء الجملة العربية، دار غريب، 2003، ص 68.

(2) ورد هذا المصطلح عند د. محمد أبي موسى في كتابه "دلالات التراكيب، دراسة بلاغية"، مكتبة وهبة، ط3، 1425هـ = 2004م، ص 295 بمفهومه الذي هنا، وورد في الكتاب نفسه، ص 22 بمعنى المعنى المباشر أو المغسول، مفرقًا بينه وبين هيأته وصورته وصياغته، أي بين المعنى وصورة المعنى كما قال عبد القاهر الجرجاني، الذي ورد عنده مصطلح "أصل المعنى" أيضًا بمعنى المعنى المغسول، أو نفس المعنى في مقابل المعنى الذي جاء على كيفية وهيئة مخصوصة وزيادة هي التي تمنحه الحسن. انظر: دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة. ط2، 1410هـ = 1989م، ص 266. واستفدت مفهوم هذا المصطلح أيضًا من جملة ما ذكره د. أبو موسى في كتابه "قراءة في الأدب القديم"، مكتبة وهبة، ط2، 1419هـ = 1998م، وهو فيه ثمرة باعث القول أو مثير المعاناة، ومن جملة ما ذكره الأستاذ محمود شاكر في كتابه "نمط صعب ونمط مخيف"، مطبعة المدني – القاهرة، دار المدني – جدة، ط 1416هـ = 1996م.

"باعث القول"[1]، أو ما يسمى بـ "مناسبة القصيدة".

5-1 الاتصال والانفصال بين الجمل:

يتحقق الاتصال بين الجمل بإحدى طرق ثلاثة:

الأولى: الاتصال النحوي بين الجملتين:

أ- بلا عاطف: بأن تكون الثانية خبرًا أو نعتًا أو حالًا أو توكيدًا أو بدلًا أو عطف بيان من الجملة الأولى أو أحد عناصرها، سواء أكان هذا العنصر إسناديًّا أم مكملًا.

ب-الاتصال النحوي بين الجملتين بأداة العطف ظاهرة أو مقدرة.

الثانية: وجود رابط لفظي بين الجملتين دون أن تتصلا تركيبيًّا، مثل: اسم الإشارة – الضمير – تكرار أحد عنصري الإسناد أو أحد العناصر غير الإسنادية – أحد حروف الاستئناف (الواو – الفاء – بل – لكنْ – حتى).

الثالثة: وجود علاقة دلالية بين الجملتين، مع انفصالهما نحويًّا ولفظيًّا، كعلاقة السببية أو التراتب ... إلخ، كما سيأتي بيانه، أو استمرار عناصر دلالية بين الجملتين، كعنصر المحبوبة مثلًا، الذي يُعبَّرُ عنه باسمها في جملة وبكلمة "الظعن" مثلًا في الجملة التالية لها، باعتبار المحبوبة ضمن من شملهم لفظ "الظعن"[2].

---

(1) استفدت هذين المصطلحين "مثير المعاناة" و"باعث القول" من كتاب د. محمد محمد أبي موسى "قراءة في الأدب القديم"، ص 26، في أثناء تحديده لمنهجه الذي سار عليه في قراءة الأدب القديم.

(2) انظر: د. سعد مصلوح: نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، مج10، ع 1-2، يوليو / أغسطس 1991م.

وقد استبدلت بمصطلح "المفاهيم المستمرة" في عالم النص، الذي استخدمه د. مصلوح، مصطلح "العناصر الدلالية" لأنه أكثر شمولًا؛ لأن كلمة "العنصر" تطلق على المعاني وعلى الذوات، ألفاظها ودلالاتها، والمعاني – بشقيها – تشمل الأسماء (مثل: السخاء – الكرم ...)، والأفعال (مثل: درس – ارتحل ...)، وتشمل ما يمكن أن ينقسم إليه كل منها من مجالات دلالية مختلفة. والذوات – بشقيها – تشمل: المحبوبة، الديار، الأتان ...، وكلها عناصر قد تستمر عبر النص مُحكِمةً بناءه الدلالي. أما مصطلح "المفاهيم المستمرة" فإن الذهن ينصرف به فقط إلى =

وفي الطرق الثلاثة يكون الاتصال الدلالي بين الجملتين واقعًا، أما الانفصال بين الجملتين فيكون بعدم وجود إحدى هذه الطرق.

2- طرق إطالة الجملة:

تمثل الجملة الطويلة في نصوص "جمهرة أشعار العرب" البنية الأكبر من بين أبنية الألفاظ، التي تشمل أيضًا: الجملة التامة، والجملة الناقصة، والمركب الناقص، واللفظ المفرد[1].

وتطول الجملة، أحد عنصريها المؤسسين أو كل منهما، أو عنصر أو أكثر من عناصرها غير الإسنادية، أو هي ككل، بجملة أو أكثر من الجمل ذات المواقع الإعرابية على التصنيف التالي:

- الجمل التي يطول بها عنصرا الإسناد: جملة الخبر – جملة المفعول به – جملة النعت – جملة الحال – الجملة المعطوفة – جملة التوكيد – جملة البدل – جملة عطف البيان.
- الجمل التي تطول بها العناصر غير الإسنادية: جملة النعت – جملة الحال – الجملة المعطوفة – جملة التوكيد – جملة البدل – جملة عطف البيان – جملة الاعتراض.
- الجمل التي تطول بها الجملة ككل: جملة العطف – جملة التوكيد – جملة البدل – جملة عطف البيان – جملة الاعتراض.

ويلاحظ على هذا التصنيف لعناصر الإطالة للجمل ما يلي:

أولًا: الجملة الخبرية يطول بها عنصر المسند فقط.

= كل ما هو من "المعاني"، سواء أكانت ألفاظًا أم دلالات، كما أنه لا يحتمل التقسيم الذي يحتمله مصطلح "العناصر الدلالية".

(1) المقصود بالنقص هنا نقص المعنى لا نقص العناصر؛ لأن الجملة الناقصة جملة كاملة العناصر، لكن تمام معناها يحتاج إلى جملة أخرى، مثل: جملة فعل الشرط، وجملة القسم وجملة النداء، وهو ما يسميه د. حماسة عبد اللطيف "طول الترتب". انظر: بناء الجملة العربية، ص 77.

ثانيًا: المبتدأ لا يطول بجملة معطوفة[1].

ثالثًا: العناصر غير الإسنادية والجمل ككل لا تطول بجملة مفعول به.

رابعًا: لم أعُدّ من الجمل التي تطول بها الجملةُ الجملَ التي جاءت صلة للموصول، والمصدرَ المئول إذا جاء عنصرًا إسناديًّا، والجملةَ المضاف إليها الظرف، وهي جميعًا مما يسميه النحاة "المركب الاسمي". أما جملة صلة الموصول والجملة المضاف إليها الظرف فلأن الوظيفة النحوية لهذا المركب الاسمي تقع على عاتق الجزء الأول منه، أي على الاسم الموصول وعلى الظرف، والنظر في تحديد الجملة التي تحدث بها الإطالة يقع على الجملة ككل، لا باعتبارها جزءًا من كل.

هذا وإن كان يمكن – بالطبع – اعتبار هذه الجمل من عناصر الإطالة، لكن المراد الاقتصار، مثلما اقتصر على الإطالة بعنصر الجملة دون المفردات وأشباه الجمل لطبيعة النص المدروس، كما سبقت الإشارة.

خامسًا: لم يعد من الجمل التي تطول بها الجملة جملة جواب الطلب وجواب القسم؛ لأن معنى الجملة لا يتم إلا بقسمها الثاني، وكان النظر في تحديد الجملة التي تحدث بها الإطالة – كما في المركب الاسمي – يقع على الجملة ككل لا باعتبارها جزءًا من كل، واقتصارًا أيضًا.

اتسمت طرق إطالة الجملة الطويلة في نصوص الجمهرة بالسمات التالية:

- الجمل الأطول في النصوص طالت بالجمل النعوت وبالجمل المعطوفات.
- الإطالة بالجمل النعوت وبالجمل المعطوفات جاءت في الجملة الرئيسة، أو في إحدى الجمل المتفرعة عنها، وقد تكون في كليهما.
- تعدد أوجه الإعراب في إحدى جمل الجملة الطويلة أو في أحد تفرعاتها؛ مما يكون له تأثير في بنائها وفي بناء دلالتها.

(1) هذا في حدود النصوص موضع الدراسة من "جمهرة أشعار العرب"، وإلا ففي غيرها يمكن أن يكون، مثل قولنا: أن تتقي الله وتحسن إلى جارك خير لك من زخرف الدنيا.

السمة الأولى: الجمل الأطول في النص طالت بالجمل النعوت وبالجمل المعطوفات:

من نماذج هذه الإطالة بالجمل المعطوفات الجملة الطويلة الرابعة من الجمل الطوال الخمسة التي بني بها سمط لبيد بن ربيعة[1]. فقد بنت هذه الجمل سمطه على النحو التالي:

الجملة الطويلة (1-11) – الثانية (12-15) – الثالثة القسم الأول (16-35)، والقسم الثاني (36-56) – الرابعة (57-77) والخامسة (78-89)(*).

يقول لبيد بن ربيعة في هذه الجملة الرابعة التي يبتدئ بها الفخر بنفسه:

57- بَلْ أَنْتِ لاَ تَدْرِينَ كَمْ مِنْ لَيْلَةٍ ... طَلْقٍ لَذِيذٍ لَهْوُهَا وَنِدَامُهَا

58- قَدْ بِتُّ سَاهِرَها، وغَايَةَ تَاجِرٍ ... وَافَيْتُ، إذ رُفِعَتْ وَعَزّ مُدَامُهَا

59- أُغْلِي السِّبَاءَ بِكُلّ أَدْكَنَ عَاتِقٍ ... أَوْ جَوْنَةٍ قُدِحَتْ وَفُضّ خِتَامُهَا

60- بَاكَرْتُ حَاجَتَهَا الدّجاجَ بِسُحْرَةٍ ... لِأُعِلَّ منها حِينَ هَبّ نِيَامُهَا

61- وَغَدَاةِ رِيحٍ قَدْ وَزَعْتُ، وَقِرّةٍ ... إذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا

62- بِصَبُوحِ صَافِيَةٍ، وَجَذْبِ كَرِينَةٍ ... بِمُوتَّرٍ تَأْتَالُهُ إبْهَامُهَا

63- وَلَقَدْ حَمَيْتُ الحي تَحْمِلُ شِكّتي ... فُرْطٌ وِشَاحي، إذ غَدَوْتُ، لِجَامُهَا

64- فَعَلَوْتُ مُرْتَقَبًا عَلى مَرْهُوبَةٍ ... حَرِجٍ إلى أَعلامِهِنّ قَتَامُهَا

---

(1) لبيد بن ربيعة: أحد شعراء الجاهلية المعدودين فيها، أدرك الإسلام، فكان مسلمًا رجل صدق، من أشراف الشعراء الفرسان المعمرين. انظر ترجمته: د. الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 347.

(*) كل الأرقام المثبتة في النماذج الشعرية في هذه الدراسة هي الأرقام التي ورد عليها ترقيم القصائد في تحقيق د. محمد علي الهاشمي؛ باعتبار تحقيقه هو التحقيق المختار مصدرًا لجمهرة أشعار العرب. والأبيات التي وردت عنده في روايات زائدة عما أثبته في متن التحقيق ووردت عنده في هامش التحقيق، وضعتها الدراسة في مواضعها التي أوردها فيها، واضعة أمامها العلامة (-) بدلًا من الرقم، إشارة إلى أنها رواية زائدة. وإذا رجحت رواية الأستاذ علي محمد البجاوي في تحقيقه للجمهرة لبعض الأبيات أثبت روايته بترقيم الأبيات الذي ورد في تحقيقه، مع الإشارة إلى ذلك.

65- حَتــى إذا أَلْقَــتْ يَــدًا في كــافِرٍ ... وَأَجَــنَّ عَــوْرَاتِ الثّغُــورِ ظَلامُهَــا

66- أَسْــهَلْتُ وانْتَــصَبَتْ كَجِــذْعِ مُنَيفَــةٍ ... جَــرْدَاءَ يَحْــصَرُ دُونَهَــا جُرّامُهَــا

67- رَفَّعْتُهــا طَــرَدَ النَعــامِ، وَفَوْقَــهُ ... حَتّــى إذا سَــخُنَتْ وَخَــفّ عِظَامُهَــا

68- قَلِقَــتْ رِحَالَتُهــا، وَأَسْــبَلَ نَحْرُهــا ... وابْتَــلّ مِــنْ زَبَــدِ الحَمِــيمِ حِزَامُهَــا

69- تَرْقَــى وَتَطْعَــنُ في العِنَــانِ، وَتَنْتَحــي ... وِرْدَ الحمامَــــةِ، إذْ أَجَــــدَّ حَمَامُهَــــا

70- وَكَثِــــيرَةٍ غُرْبَاؤهــــا مَجْهُولَــــةٍ ... تُرْجَــى نَوَافِلُهــا، وَيُخْــشَى ذَامُهَــا

71- غُلْــبٌ تَــشَذَّرُ بالــذُّحُولِ كَأَنَّهــا ... جِــنُّ البَــدِيّ، رَوَاسِــيًا أَقْــدَامُهَا

72- أَنْكَــرْتُ بَاطِلَهــا، وبُــؤتُ بِحَقّهــا ... عنــدي، ولم يَفْخَــرْ عَــليّ كِرَامُهَــا

73- وَجَــزُورِ أَيْــسَارٍ دَعَــوْتُ لَحَتْفِهــا ... بِمَغَــــالِقٍ مُتَــــشابِهٍ أَجــــسامُهَا

74- أَدْعُــو بِهِــنَّ لِعَــاقِرٍ أَوْ مُطفِــلٍ ... بُــذِلَتْ لِجــيرانِ الجَميــعِ لِحَامُهَــا

75- فالــضّيفُ والجــارُ الجنيــبُ، كــأنما ... هَبَطــا تَبَالَــةَ، مُخْــصِبًا أَهْــضامُهَا

76- تَــأْوي إلى الأطنَــابِ كــلُّ رَذيَّــةٍ ... مِثْــلِ البَلِيّــةِ، قَالِــصًا أَهْــدَامُهَا

77- وَيُكَلَّلُــونَ، إذا الريــاحُ تَنَاوَحَــتْ ... خُلُجًــا، تُمَــدّ شَــوَارِعًا أَيْتَامُهَــا[1]

لقد طالت هذه الجملة الطويلة المستأنفة بـ "بل" – أو المعطوفة بها – بخمس جمل متعاطفات، تبين فخره برفاهه وباستمتاعه وبشجاعته وبحضوره المحافل وبكرمه، هي:

57- "بَلْ أَنْتِ لاَ تَدْرِينَ كَمْ مِنْ لَيْلَةٍ ... قَدْ بِتُّ سَاهِرَها".

61- "وَغَدَاةِ رِيحٍ قَدْ وَزَعتُ"، وقد عطفت بواو رب المحذوفة على جملة "أنت لا تدرين ..."، أو عطفت بالواو على جملة المفعول به "كم من ليلة ... قد بت ساهرها".

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 371-379.

63- "وَلَقَدْ حَمَيتُ الحي ..." معطوفة بالواو على "وغداة ريح قد وزعت".

70- "وكثيرة غرباؤها ... أنكرت باطلها" معطوفة بواو رب على "ولقد حميت".

73- "وَجَزُورِ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ لَحَتْفِها" معطوفة بواو رب على "وكثيرة غرباؤها ... أنكرت باطلها".

وبسط هذه الجملة الطويلة في الشكل التالي:

بَلْ أَنْتِ لاَ تَدْرِينَ كَمْ مِنْ لَيْلَةٍ ... قَدْ بِتُّ

(معطوفة أو مستأنفة)

ويلاحظ على كل جملة من هذه الجمل الخمسة المتعاطفات المكونات لهذه الجملة الطويلة الرابعة، أنها طالت بدورها بعدد من الجمل ذات الوظائف النحوية المتنوعة؛ من العطف والحال والنعت والإضافة للظرف، في بناء نحوي ودلالي متشاجر محكم.

ومن نماذج إطالة الجملة الأطول في النص بالنعوت، الجملة الأطول في سمط طرفة بن العبد، التي امتدت من البيت 11 إلى 46، وبنيت بـ 15 جملة نعت لناقته العوجاء المرقال. يقول طرفة[1]:

11- وَإنيّ لأُمضِي الهَمّ عِنْدَ احْتِضارِهِ بِعَوجَاءَ مِرقالٍ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي

12- أَمُونٍ كَأَلواحِ الإِرَانِ نَسَأْتُها عَلى لاحِبٍ، كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُدِ

(1) طرفة بن العبد: من فحول الشعراء الجاهليين المقدمين. نبغ في الشعر وعد من فحوله وهو دون العشرين. ليس عند الرواة من شعره إلا القليل، وقد قتل وهو ابن عشرين سنة أو نيف. انظر: د. الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 419.

13- تُبـاري عِتاقًـا ناجِيـاتٍ، وَأَتبَعَـتْ وظيفًـا وَظيفًـا فَـوقَ مَـوْرٍ مُعَبَّـدِ

14- تَرَبّعَـتِ القُفَّـينِ في الـشَّوْلِ تَرتَعـي حَـدائِقَ مَـوليِّ الأسِرّةِ أَغْيَـدِ

15- تَريـعُ إلى صَـوتِ المُهيـبِ، وَتَتَّقـي بـذي خُـصَلٍ رَوْعَـاتِ أَكْلَـفَ مُلْبِـدِ

18- لهـا فَخِـذانِ أُكْمِـلَ الـنَّحضُ فِـيهِما كـأَنَّهُما بابـا مُنيـفٍ مُمَـرَّدِ

21- لَهَـا مِرْفَقَـانِ أَفْـتَلانِ كَـأَنَّما أُمِـرَّا بِـسَلْمَيْ دالِـجٍ مُتَـشَدِّدِ

23- صُـهابيّةُ العُثْنُـونِ، مُوجَـدَةُ القَـرَا بَعيـدَةُ وَخْـدِ الرِّجـلِ، مَـوّارَةُ اليَـدِ

24- أُمِـرّتْ يَـداها فَتـلَ شَـزْرٍ وأُجنِحَـتْ لَهَـا عَـضُداها في سَـقيفٍ مُـسَنَّدِ

25- جَنُـوحٌ دُفـاقٌ عَنْـدَلٌ ثُـمّ أُفْرِعَـتْ لَهَـا كَتِفاهـا في مُعـالىً مُـصَعَّدِ

26- كـأَنّ نُـدُوبَ النِّـسْعِ في دَأياتِهـا مَـوارِدُ مِـنْ خَلقـاءَ في ظَهـرِ قَـرْدَدِ

39- إذا أَقْبَلَـتْ قـالُوا تَـأَخّرَ رَحْلُهـا وإنْ أَدْبَـرَتْ قـالُوا تَقَـدّمَ فاشْـدُدِ

42- عـلى مِثلِهـا أَمـضي، إذا قـالَ صـاحبي أَلا لَيتَنـي أَفـديكَ مِنهـا وَأَفْتَـدِي

45- أَحَلْـتُ عَلَيْهَـا بـالقَطِيعِ، فأَجْـذَمَتْ وَقَـدْ خَـبَّ آلُ الأمعَـزِ المُتَوقِّـدِ[1]

وقد طالت هذه الجمل الخمسة عشرة النعوت بجمل تنوعت وظائفها النحوية أيضًا بين النعت والعطف والحال والمفعول به مقول القول، وقد امتد طول بعض هذه الجمل النعوت بالمفردات وبالجمل النعوت والمعطوفات والمفعولات والأحوال طولًا ظاهرًا، مثل البيت 21 الذي طالت جملته إلى عشرة أبيات حتى البيت 36، عدا الأبيات 23-27 التي جاءت نعوتًا متعددة، قاطعة سياق الجملة في البيت 21، الذي طال بالمفردات المتعاطفات على الخبر "مرفقان" في بناء نحوي ودلالي فريد.

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 423-435.

وبسط الجملة الأطول في النص على الشكل التالي:

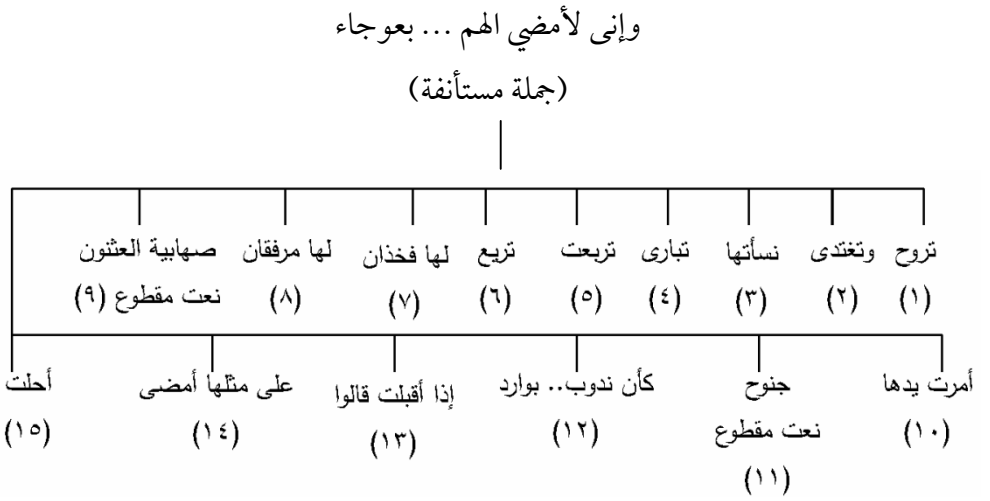

في مقابل هذه الإطالة بالجمل النعوت وبالجمل المعطوفات في الجمل الأطول والطويلة جدًّا، تأتي الإطالة بعناصر نحوية تتنوع بين جمل النعت والحال وغيرها من الوظائف النحوية في الجمل الأقل طولًا، منها على سبيل المثال:

- قول طرفة بن العبد في سمطه:

66- أَرى قَــبرَ نَحّــامٍ بَخيــلٍ بِمالِــهِ كَقَبــرِ غَــويٍّ في البَطالَــةِ مُفــسِدِ

67- تَــرى جُثــوَتَينِ مِــن تُــرابٍ عَلَــيهِما صَــفائِحُ صُــمٌّ مِــن صَــفيحٍ مُنَــضَّدِ[1]

فقد طالت جملة "أرى قبرَ نَحَّام ... كقبر غوي" بجملتين؛ الأولى بدل منها (ترى جُثْوَتَيْن ...)، والثانية نعت لـ "جُثْوَتَيْن" (عليهما صفائح). وبسط الجملة كالتالي:

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 441. **النحام:** الذي يتنحنح عند السؤال بخلًا. **والجُثوة:** التراب المرتفع. **الصفائح:** الصخور الرقاق. **صم:** صلبة. انظر: ن ص وهامش 4، 6 ن ص.

66- أرى قبر نحام

(مستأنفة)

↓

67- ترى جُثوتين

(بدل منها)

↓

عليهما صفائح

(نعت لـ "جُثوتين")

- ومنها قول المسيب بن علس في منتقاته[1]:

13- وَلَقَـــــد تَنـــــاوَلَني بِنائِلِـــــهِ فَأَصـــابَني مِـــن مـــائِهِ سَـــجلُ

14- مُتَـــبَعِّجُ التَيّـــارِ ذو حَـــدَبٍ مُغـــرَورِبٍ تَيّـــارُهُ يَعلـــو[2]

فقد طالت هذه الجملة القصيرة (ولقد تناولني) بجملتين؛ الأولى: جملة معطوفة عليها (فأصابني ... سَجْل)، والثانية: نعت للفاعل "سجلُ" (يعلو) على قراءة البيت كما أثبتها تحقيق الهاشمي. وعلى قراءة أخرى:

14- مُتَـــبَعِّجُ التَيّـــارِ ذو حَـــدَبٍ مُغـــرَورِبٍ تَيّـــارُهُ يَعلـــو

(1) المسيب بن علس: واسمه زهير، شاعر جاهلي جزل القول، من الفحول، والمقلين الثلاثة مع المتلمس وحُصين بن الحمام المُرِيِّ. وعلس أمه، فلا يصرف الاسم. انظر: د. الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 547.

(2) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 550.

تكون جملة النعت (تياره يعلو). وبسط الجملة كالتالي:

13- ولقد تناولني

(مسأنفة بالواو)

↓

فأصابني ... سجل

(معطوفة)

↓

يعلو

(نعت لـ "سجل")

- وفي مشوبة النابغة الجعدي[1]:

11- ومـا زِلْـتُ أَسْـعى بَـيْنَ بـابٍ ودارِهِ بِنَجْـرَانَ، حتـى خِفْـتُ أن أَتَنَـصّرا

12- لـدى مَلِـكٍ مِـنْ آل جَفْنَـةَ، خَالُـه وَجَـدّاهُ مِـنْ آل امـرِئ القـيسِ أزهـرَا

13- يُـدِيرُ عَلَيْنَـا كأسَـهُ وشِـواءَهُ مَناصِـفُهُ والحَـضْرَميَّ المُحَـبَّرَ[2]

فقد طالت الجملة المستأنفة (وما زلت أسعى) بجملة معطوفة على خبر "ما زلت"، وهي جملة (حتى خفت)، ثم طالت هذه المعطوفة بجملة مفعول به للفعل "خفت" (أن أتنصرا). وطالت جملة الخبر "أسعى" من فرع آخر بجملة نعت لـ "ملك" المضاف إليه الظرف "لدى" (من آل جفنة خاله)، وبجملة معطوفة على جملة النعت (وجداه من آل امرئ القيس)، وبجملة نعت ثان لـ "ملك" (يدير علينا كأسَه ... مناصفة)، وبسطها كالتالي:

(1)النابغة الجعدي: قيس بن عبد الله بن عُدَس، شاعر مفلق مخضرم، طويل البقاء في الجاهلية والإسلام. انظر: د. الهاشمي: الجمهرة، ج 2، ص 773.

(2) الهاشمي: السابق، ج2، ص 775.

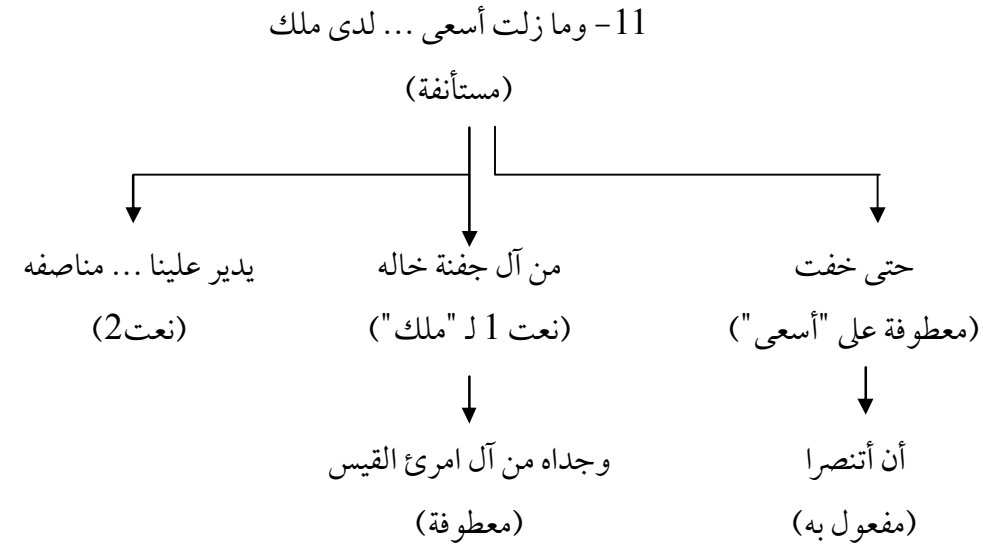

السمة الثانية: الإطالة بالجمل النعوت وبالجمل المعطوفات تكون في الجملة الرئيسة، أو في إحدى الجمل المتفرعة عنها، أو في كليهما:

أ- مثال الإطالة بالنعوت والمعطوفات في الجملة الرئيسة:

- قول عروة بن الورد في منتقاته[1]:

10- لَحَا اللَّهُ صُعلوكًا إذا جَنّ لَيْلُهُ مُصَافِي المُشَاشِ آلِفًا كُلَّ مَجْزَرِ

11- يَعُدّ الغِنى في نَفْسِهِ قوتَ لَيْلَةٍ أَصَابَ قِرَاها من صَدِيقٍ مُيَسَّرِ

12- يَنَامُ عِشَاءً، ثُمّ يُصْبِحُ قاعدا يَحُتّ الحَصَا عن جَنْبِهِ المُتَعَفِّرِ

13- يُعِينُ نِسَاءَ الحَيّ ما يَسْتَعِنَّهُ فَيُمْسِي طَلِيحًا كَالبَعِيرِ المُحَسَّرِ[2]

(1) عروة بن الورد: من شعراء الجاهلية وفرسانها وصعاليكها المعدودين المقدمين الأجواد. كان يلقب بعروة الصعاليك؛ لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم. انظر: د. الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 569.

(2) الهاشمي: السابق، ج1، ص 571-572.

فقد طالت الجملة المستأنفة (لحا الله صعلوكًا) بعدد من الجمل النعوت للمفعول به النكرة "صعلوكًا" على النحو التالي:

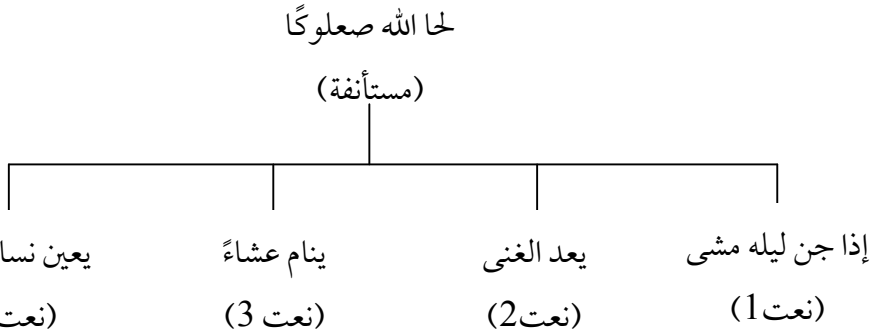

- وقول النابغة الجعدي في ابتداء مشوبته التي طالت جملتها الابتدائية "خليليَّ عوجا" بسبع جمل طلبية معطوفة على فعل الأمر "عوجا":

1- خليليّ عُوجا ساعَةً، وَتَهَجَّرا ولُوما على ما أَحْدثَ الدهرُ، أَوْ ذَرَا

2- ولا تَجْزَعا إنّ الحياةَ قصيرةٌ فَخِفّا لِرَوْعاتِ الحوادثِ، أو قرا

3- وإنْ جاءَ أَمْرٌ لا تُطيقان دَفْعَهُ فَلاَ تَجْزَعا ممّا قضَى اللَّهُ، وَاصْبِرا[1]

وتشجير هذه الجمل المتعاطفات كالتالي:

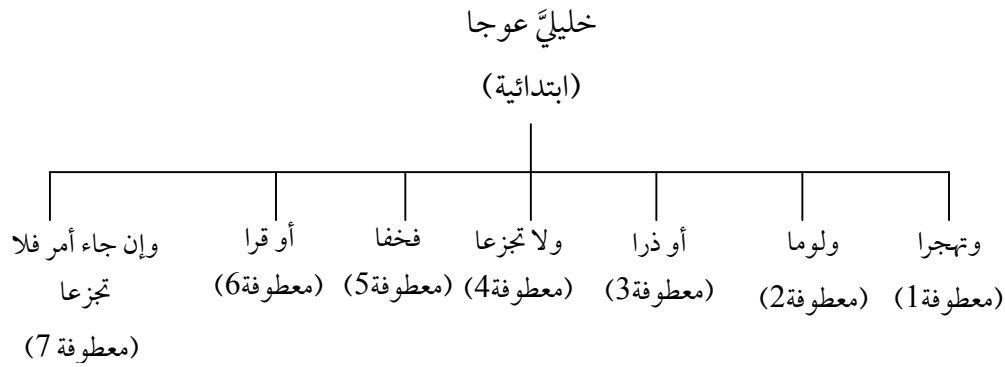

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 774.

وعلى الرغم من اتفاق هذه الجمل المتعاطفات من جهة الصناعة النحوية، فإن هناك فروقًا بين العطف في بعضها، فالجملة المعطوفة الثالثة "أوْ ذرا" على "ولوما" ارتباط معناها بها أكبر من ارتباطها بالمعطوفة الأولى "وتهجَّرا"؛ باعتبار "أو" التي للتخيير، والتي جعلت "ذرا" قسيمًا لـ "لوما" وباعتبار التقابل بين الفعلين. هذا على عكس الجملة المعطوفة الرابعة "ولا تجزعا"، التي عطفت صناعةً على "ذرا"، لكن عطفها من جهة المعنى على "لوما"؛ إذ التعاطف بين تهجَّرا، لوما، لا تجزعا. ومثل ذلك يقال في الجملتين المعطوفتين: "فخِفا" "أو قرا" اللتين ترتبطان معنًى بـ "لا تجزعا"؛ باعتبار السببية التي تربط الأمر بالخفة في الجملة المعطوفة الخامسة بالنهي عن الجزع في الجملة المعطوفة الرابعة "ولا تجزعا"؛ للسبب الجامع بينهما وهو قصر الحياة، وكأن "خِفَّا أو قرا" تفسير لعدم الجزع الذي طالب به خليليه، أو هما بدل منه معنًى لا صناعة. وأيضًا باعتبار العاطف "أو" المفيد للتخيير بينهما، وباعتبار التقابل الدلالي بينهما أيضًا. هذا على عكس الجملة المعطوفة السابعة "وإن جاء أمر ... فلا تجزعا"، وهي جملة شرطية معطوفة على الجملة الطلبية قبلها[1]؛ فإن ارتباطها معنًى بالجمل المتعاطفات: تهجرا، لوما، لا تجزعا، وإن جاء أمر ... فلا تجزعا، في حين أن ارتباطها صناعةً بالجملة المعطوفة عليها قبلها "أو قرا".

ب- ومثال الإطالة بالجمل النعوت والمعطوفات في الجمل المتفرعة عن الجملة الرئيسة:

- قول قيس بن الخطيم في مذهبته[2]:

(1) ذكر د. محمد عبد الخالق عضيمة في "دراسات لأسلوب القرآن الكريم"، دار الحديث – القاهرة، 1425هـ = 2004م، ج 3، ص 198، نقلًا عن أبي حيان الأندلسي في تفسيره "البحر المحيط"، ج 8، ص 253 - جواز العطف على جملة الشرط والجزاء، وذلك في حديثه عن العطف على جواب الجملة الشرطية، مستشهدًا بقوله تعالى في سورة الممتحنة آية 2: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾، أن قوله تعالى: ﴿وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ ليس معطوفًا على جواب الشرط؛ لأن ودادتهم كفرهم ليست مترتبة على الظفر بهم؛ بل هم وادون كفرهم على كل حال، ظفروا بهم أم لم يظفروا"؛ ومن ثم فيمكن أن تُعطف هي أيضًا على غيرها.

(2) قيس بن الخطيم: شاعر جاهلي من الأوس، أدرك الإسلام ولم يسلم. قتل قبل الهجرة بيد الخزرج. انظر: د. الهاشمي: الجمهرة، ج 2، ص 645.

9- فَلَـمّا رَأَيْـتُ الحَـرْبَ حَرْبًـا تَجَـرّدَتْ لَبِـسْتُ مَـعَ الـبُرْدَيْنِ ثَـوْبَ المُحـارِبِ

10- مُـضَاعِفَةً يَغْـشَى الأَنَامِـلَ رَيْعُهـا كَـأَنّ قَتِيريهـا عُيُـونُ الجَنَـادِبِ

11- وَسَـامَحَني م الكَـاهِنَينِ وَمَالِـكٌ وَثَعْلَبَـةَ الأَخْيَـارِ، رَهْـطُ القَبَاقِـبِ

12- رِجَـالٌ مَتَـى يُـدْعَوْا إلى المـوت يـسرعوا كمـشي الجـمال المُـشْعَلاتِ المَـصَاعِبِ

13- إذَا فَزِعـوا مَـدّوا إليّ المـوت فـاخرًا كَمَـوْجِ الأَتِيِّ المُزْبِـدِ المُتَرَاكِـبِ

14- تَـرَى قِـصَدَ المُـرّانِ فيهـا كَأَنّهـا تَـذَاريعُ خُرْصَـانٍ بِأَيْـدِي الشّواطِبِ[1]

فالجملة المستأنفة بالفاء "فلما رأيت ... لبست" طالت أولًا بجملة نعت للمفعول به "حربا" (تجردت)، ثم طالت ثانيًا بجملتي نعت للمنعوت المحذوف "درعا" (يغشى الأنامل ربعها - كأن قتيريها عيون الجنادب)، ثم طالت ثالثًا بالجملة المعطوفة على جملة جواب الشرط "لبست" (وسامحني ... رجال"، التي طالت بدورها بثلاث جمل نعوت للفاعل النكرة "رجال" (متى يدعوا ... يسرعوا - إذا فزعوا مدوا - ترى قصد المران ... كأنها)، وهي موضع الاستشهاد. وبسط هذه الإطالة في الجملة الفرعية كالتالي:

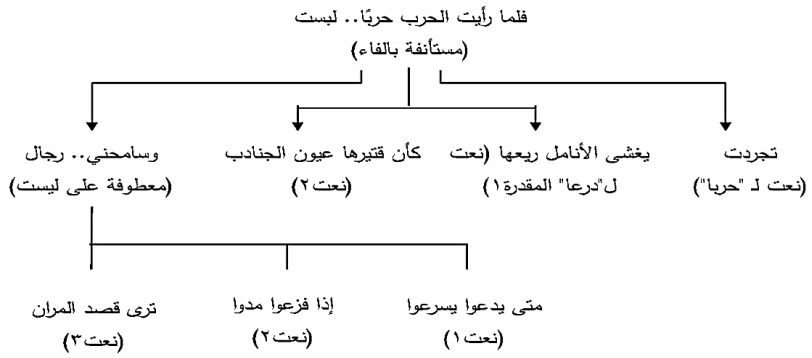

(1) الهاشمي: السابق، ج2، ص 647-648. و"م الكاهنين" أي من الكاهنين. حذفت النون للضرورة، ويراه البغدادي قبيحًا. قال عن حذفها من "يكن"، وهي أصل؛ لأنها لام الفعل في قول الشاعر: لم يكُ الحق سوى أن هاجه: "وحذف النون من يكن أقبح من حذف نون من في قوله: غيرَ الذي قد يُقال مِ الكذب. أي من الكذب" انظر: عبد القادر البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب،ت عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، دار الرفاعي – الرياض، ط1، 1401هـ = 1981م، ج9، ص 305.

ويلاحظ في جملة النعت الثالثة (ترى قِصَد المرَّان تلقى كأنها تذاريع خرصان) أن الرابط بينها وبين المنعوت "رجال" مقدر بـ "منهم"، المتعلق بالفعل "تلقى". مستند هذا التوجيه النحوي قول ابن هشام في الأشياء التي تحتاج إلى ربط أن منها "الجملة الموصوف بها، ولا يربطها إلا الضمير إما مذكورًا أو مقدرًا، إما مرفوعًا أو مجرورًا، نحو: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: آية 48]؛ فإنها على تقدير "فيه" أربع مرات"[1].

- ومن أمثلة الجمل الفرعية التي طالت بالجمل النعوت والمعطوفات أيضًا، قول طرفة بن العبد في سمطه:

87. أَنا الرَّجلُ الضَّربُ الذي تَعرِفُونَهُ خَشاشٌ كَرَأسِ الحَيّةِ المُتَوَقِّدِ
88. فآلَيتُ لا يَنفَكُّ كَشحي بِطانَةً لِعَضْبٍ رَقيقِ الشّفرتَينِ مُهَنّدِ
89. حُسامٍ! إذا ما قُمتُ مُنتَصِرًا بِهِ كَفَى البدءُ منه العودَ ليس بِمعضَدِ
90. أخي ثِقَةٍ لا يَنثني عَنْ ضَريبَةٍ إذا قيلَ مَهلًا قالَ حاجزُهُ: قَدِي
91. إذا ابْتَدَرَ القَوْمُ السّلاحَ وَجَدْتني مَنيعًا إذا بَلَّتْ بِقائِمِهِ يَدي[2]

فقد طالت الجملة المستأنفة "أنا الرجل" بجملة نعت مقطوع لـ "رجل" (هو خشاش)، [أو: خشاش خبر ثان للضمير أنا]، ثم طالت الجملة "أنا الرجل" بالجملة المعطوفة بفاء السببية (فآليت لا ينفك كشحي بطانة)، [أو هي مستأنفة على توجيه آخر]. ثم طالت هذه المعطوفة بست جمل نعوت للمجرور "عضب"، هي: حسام إذا ما قمت منتصرًا به – كفى البدء – ليس بمعضد – لا ينثني عن ضريبة – إذا قيل مهلًا قال حاجزه قدي – إذا ابتدر القوم السلاح وجدتني منيعًا. وبسط هذه الإطالة كما هي في الشكل التالي:

(1) جمال الدين بن هشام الأنصاري (708هـ = 761هـ): مغني اللبيب، دار إحياء الكتب العربية، ج2، ص 108.
(2) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 446-447.

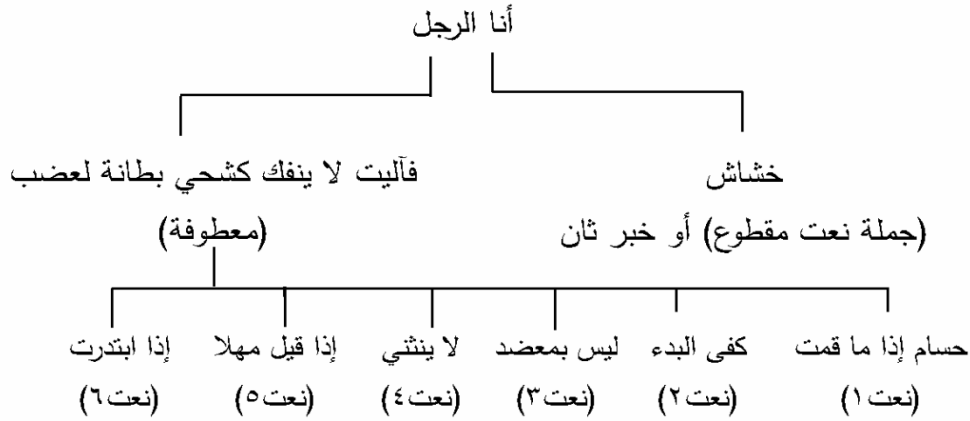

ويلاحظ أن النعت في أول البيت 89 "حسام إذا ما قمت منتصرًا به"، هي نعت مفرد مظروف في "إذا" المضاف إلى الجملة "ما قمت منتصرًا به"، وقد ذكرته هنا من جملة النعوت الجملة تغليبًا لبيان الظاهرة، ولمجيء الظرف المضاف للجملة بعده.

ج- أما نماذج إطالة الجملة بالجمل النعوت والمعطوفات في الجملة الرئيسة وفي المتفرعة عنها معًا، وهي طريقة ظاهرة في بناء الجملة الطويلة في نصوص الجمهرة، فمنها قول المرقش الأصغر في منتقاته[1] :

11. غـدونا عـلى ضـافي العَـسيبِ مُجَلَّـلٍ طوينـــاه حتـــى آلَ وهـــو مُلـــوح
12. أَســيلٌ نبيــلٌ ليــس فيــه معــابةٌ كُميْـتٌ كلَـونِ الـصِّرْفِ أَرْجَـلُ أقْـرَحُ
13. وَتَـسْبِقُ مَطْـرُودًا، وَتَلْحَـقُ طَـارِدًا وَتَخْـرُجُ مـن غَـمّ المَـضِيقِ وَتَمْـرَحُ
14. عــلى مثلــه تــأتي النَّــدِيَّ مُخــايلًا وتَغمـــزُ سِرًّا أيُّ أمـــرِيْكَ أنجـــحُ
15. تــراه بِــشِكَّاتِ المُــدَجَّجِ بعدمــا يُقـــطِّعُ أقـــرانَ المُغيـــرةِ يَجمـــحُ

(1) المرقش الأصغر: واسمه عمرو بن حرملة، شاعر جاهلي، من عشاق العرب المشهورين. المرقش الأكبر عمه، وهو عم طرفة بن العبد، وهو أشعرهما وأطولهما عمرًا. انظر: د. الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 553.

16. يُجِمُّ جُمومَ الحِسْي جاشَ مَضيقُه ويَرْدَى به مِن تحتُ غِيلٌ وأبَطُحُ

17. شهدتُ به في غارةٍ مُسْبَطِرَّةٍ يطاعن أولاها سواءً ويَطْرَحُ[1]

فالجمل المستأنفة "غدونا على ضافي العسيب" قد طالت بخمس جمل نعوت للمنعوت المحذوف "فرس"، وهذه الجمل النعوت هي: طويناه – ليس فيه معابة – على مثله تأتي النديّ – تراه بشكات المدجج – شهدت به في غارة. وطالت إحدى هذه الجمل النعوت وهي "على مثله تأتي النديّ" بخمس جمل متعاطفات عليها، وهي: وتغمز سرًّا – وتسبق مطرودًا – وتلحق طاردًا – وتخرج – وتمرح. وبسط هذه الجملة على النحو التالي:

غدونا على ضافي العسيب (مستأنفة)

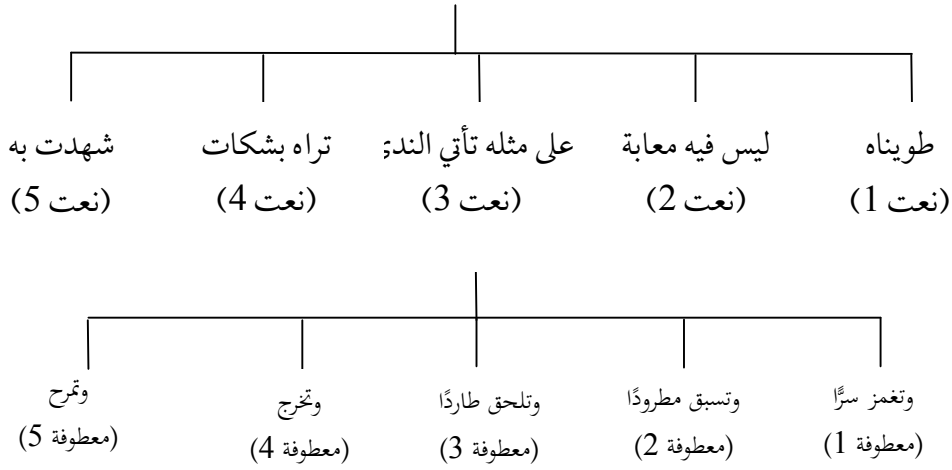

– ومن النماذج الفريدة لهذه الظاهرة الجملة الطويلة جدًّا في مشوبة النابغة الجعدي، التي امتدت من البيت (14) إلى (31)، وتبدأ بوصف تيه قطعها بناقته، يعدد أوصافها (من 14–17)، ومن بين هذه الأوصاف شبهها ببقرة وحشية يصفها بعدة نعوت (في 17)، يعطف على آخرها خمس جمل (في الأبيات: 18، 20، 21، 23، 30)، وقد طالت الجملة الأولى المعطوفة

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 555–557.

منها في البيت (18) بجملتي نعت للذئب أطلس اللون، وطالت الجملة المعطوفة الرابعة بثلاث جمل نعوت للثور الوحشي، بالإضافة إلى إطالة بعض الجمل داخل هذا الغصن المتشاجر الجمل بجملتين متعاطفتين، وبجملتيْ نعت، وجملة حال. يقول:

14. وتيـهٍ عليهـا نَـسْجُ ريـحٍ مريـضة ... قطعـتُ بحُرجـوجٍ مُـسانِدة القَـرا
15. خَنـوفٍ مَـروح تُعجـل الـوُرْقَ بعـدما ... تُعَـرِّسُ تـشكو آهـةً وتَذمُّـرا
16. وتَعـبُرُ يَعفـورَ الـصَّريمِ كِناسَـه ... وتُخرجـه طـورًا وإن كـان مُظهِـرًا
17. كمُـرْقَدَّةٍ فَـرْدٍ مـن الـوحش حُـرَّةٍ ... أنامـت لـدى الـذئبين في الـصيف جُـؤْذَرا
18. فأمـسى عليـه أطلـسُ اللـون شاحيـًا ... شحيحـًا، يـسميه النبـاطي نَهْـسرا
19. طويـلُ القَـرا، عـاري الأشـاجع، مـاردٌ ... كـشِقِّ العـصا فـوهُ إذا مـا تـضَوَّرا
20. فبـات يُذكـِّيه بغـير حديـدةٍ ... أخـو قَـنَصٍ يمـسي ويـصبح مُقْفِـرا
21. فلاقـت بيانًـا عنـد أول مَرْبُـضٍ ... إهابًـا ومعبوطـا مـن الجـوف أحمـرا
22. ووجهـا كبرقـوع الفتـاة مُلَمَّعـا ... ورَوْقَـيْن لمـا يعْـدُوا أن تَقَمَّـرا
23. فلـما شـفاها اليـأس وارتـدَّ هَمُّهَـا ... إليـها ولـم يـتركْ لهـا متأخِّـرا
24. أُتـيحَ لهـا فَـردٌ خـلا بـين عـالجٍ ... وبـين جبـال الرمـل في الـصيف أشهـرا
25. كـسا دفـعُ رِجْلَيْهَـا صـحيفةَ وجهـه ... وَرَوْقَـيْه رِبْعـيَّ الخُـزامى المُـنَوِّرا
26. مَـروحٌ، كـسا القُريـانُ ظـاهرَ لونـه ... مَـزادًا مـن القُـرَّاص أحـوى وأصفـرا
27. وبـاهي كفحـل الـشَّوْلِ يُـنْغِضُ رأسَـه ... كمـا يُنْغِـضُ الوضـعُ الفنيـقَ المُجَفَّـرا
28. وولَّـتْ بـه روحٌ خِفـافٌ ... كأنها خَذَارِيفُ تُزْجي ساطعَ اللونِ أغبرا
29. كأصـداف هنـديْنِ صُـهْبٍ لِحـاهُمُ ... يبيعـون في داريـنَ مـسكا وعـنبرا
30. فبـاتت ثـلاثا بـين يـومٍ وليلـةٍ ... يكـون النَّكـيرُ أنْ تُـضيفَ وتَجْـأَرا

31. تَـلألأُ كالـشِّعرَى العَبـور تَوَقَّـدَتْ وكـــان عَمـــاءٌ دونهـــا فتحـــسَّرا[1]

وبسط الأبيات في الشكل التالي يوضح كيفية تفرع الجمل التي طالت بالنعوت والمعطوفات بعضها من بعض:

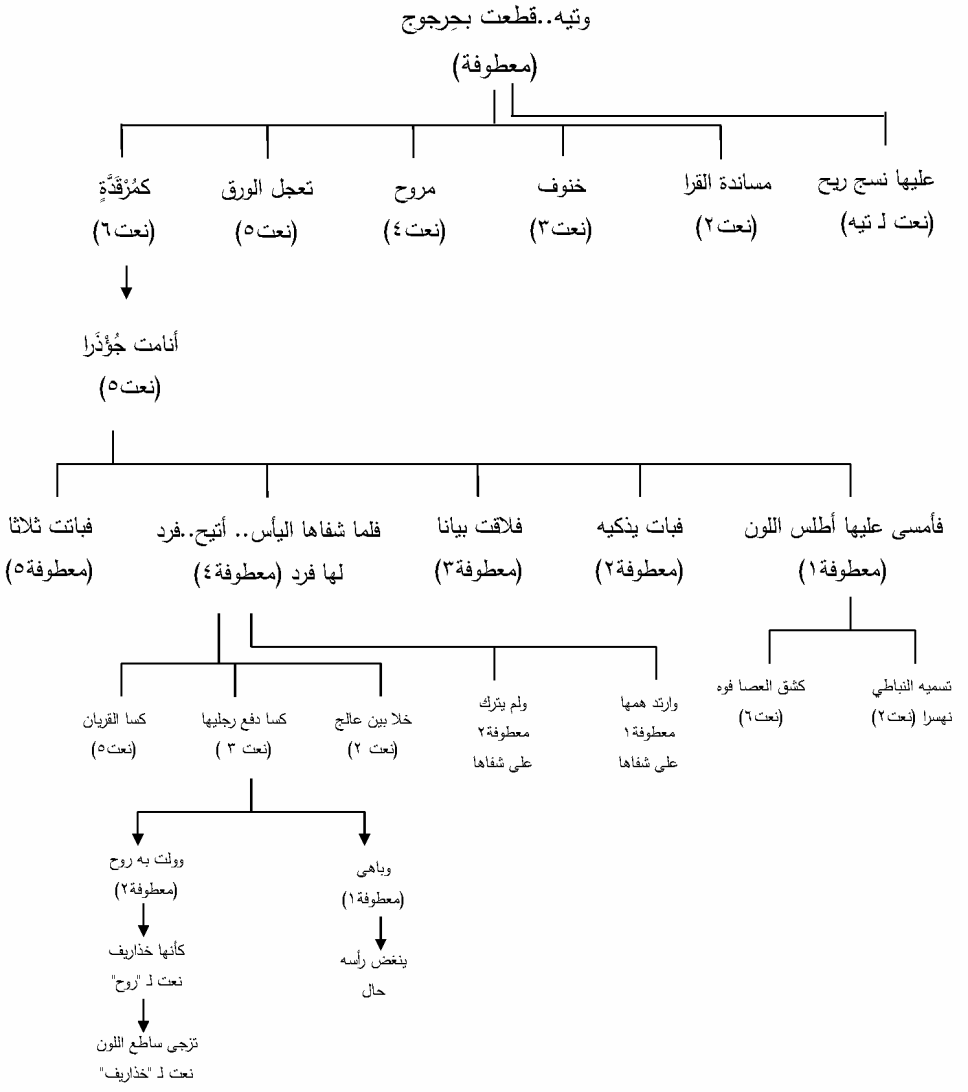

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 775-779.

يلاحظ على بناء هذه الجملة الطويلة وعلى تشجيرها عدة ملاحظات:

أولًا: ترقيم النعوت يبدأ بالرقم (2)، باعتبار أن الفاعل أو الاسم المجرور في الجملة المتفرعة هو النعت الأول؛ لأن المنعوت محذوف، كما في: قطعت بحرجوج: فالمنعوت محذوف تقديره: ناقة. كمرقدة: فالمنعوت محذوف تقديره: بقرة. أتيح لها فرد: فالمنعوت محذوف تقديره: ثور. فأمسى عليه أطلس اللون: فالمنعوت محذوف تقديره: ذئب.

ثانيًا: هذه الجمل المتفرعة التي طالت بالجمل النعوت والمعطوفات طالت فروعها بجمل أخرى متفرعة عنها بالنعوت والمعطوفات والأحوال، لكنها لم تطل بأكثر من جملتين في كلٍّ، فاقتصرت على ما هو فوق ذلك.

ثالثا: على توجيه ابن هشام لـ "واو رب" أنها واو العطف، تكون جملة "وتيه ... قطعت" معطوفة على جملة كلام سابق[1]، وسوف يأتي مزيد تحليل لبنائها عند الحديث عن الاتصال والانفصال بين الجملتين الطويلتين في المبحث التالي.

ويلاحظ على الجمل الطويلة التي طالت بالنعوت والتي طالت بالمعطوفات، أن الجمل النعوت تأتي غالبًا في سياق تعديد الصفات؛ للإحاطة بالموصوف من كل جانب، في حين تأتي الجمل المعطوفات غالبًا في سياق سرد تتابع الأحداث ونموها.

السمة الثالثة:

قد تتعدد أوجه الإعراب في إحدى جمل الجملة الطويلة، أو في إحدى جمل أحد تفرعاتها؛ مما يكون له تأثير في بناء الجملة الطويلة وفي بناء الدلالة. ومن النماذج المختارة:

في سمط لبيد بن ربيعة جاءت أربع عشرة جملة محتملة لأكثر من وجه إعرابي[2]؛ منها:

1- عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّها فَمُقَامُها بِمنًى تَأَبَّدَ غَوْلُها فَرِجَامُهَا[3]

(1) انظر: جمال الدين بن هشام الأنصاري: مغني اللبيب. ج2، ص 35.

(2) جاءت هذه الجمل في الأبيات: 1-2، 13-14، ص 26.

(3) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 348.

قوله "محلها فمقامها بمنى" – على الترقيم الذي اختاره الهاشمي بوضعها بين فاصلتين – توجه الجملة نحويًّا إلى إعرابها: جملة مستأنفة مكونة من: مبتدأ ومعطوف وخبر شبه جملة. أما على قراءة أخرى للبيت فتكون: "محلها فمقامها": بدل من الديار ومعطوف، والجار والمجرور متعلق بـ "مقامها، أو بـ "عفت" أو بـ "تأبد" بعدها، وجملة "تأبد غولها": إما توكيد معنوي لـ "عفت الديار"، أو مستأنفة بعدها.

2- فَمَدَافِعُ الرّيّانِ عُرِّيَ رَسْمُها خَلَقًا كما ضمِنَ الوُحِيَّ سِلَامُهَا

قوله "عُرِّي" رسمها: إما حال من مدافع الريان، التي عطفت على "رجامها"، أو هي خبر مبتدؤه "مدافع الريان"، والجملة معطوفة على جملة "تأبد غولها"، أو هي مستأنفة بالفاء. فعلى اختيار توجيه "عري رسمها" أنها حال أو خبر وجملته معطوفة، واختيار "تأبد ..." أنها توكيد "عفت"، و"محلها" بدل من "الديار" – على هذه الاختيارات تكون جملة "عفت" قد طالت بهاتين الجملتين من جهة البناء النحوي، ويكون مدار المعنى في الجملة على عفاء الديار، وما بعدها صورة متعددة لهذا العفاء، أو مظاهر متنوعة له. أما على انفصال الجمل، فيكون معنى العفاء مستقلًّا عن معنى التأبد، وبينهما قصد تحديد المكان في "محلها فمقامها بمنى"، وتكون جميعًا مستقلة عن معنى تعري الرسوم في مدافع الريان.

ومنها:

12- شَاقَتْكَ ظُعْنُ الحَيّ، يومَ تَحمّلوا فتَكَنّسُوا قُطُنًا تَصِرّ خِيَامُهَا

13- مِنْ كُلّ مَحْفُوفٍ، يُظِلُّ عِصيَّهُ زَوْجٌ عَلَيْهِ كِلّةٌ وَقِرَامُهَا

14- زُجَلًا، كأنّ نِعاجَ تُوضحَ فَوْقَهَا وَظِبَاءَ وَجْرَةَ عُطَّفًا أرآمُهَا

15- حُفِزَتْ وَزَايَلَهَا السّرَابُ كَأَنّهَا أَجزَاعُ بِيشَةَ أَصلُها وَرِضامُهَا[1]

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 353-354.

إذا بسطنا هذه الجملة الطويلة على النحو التالي:

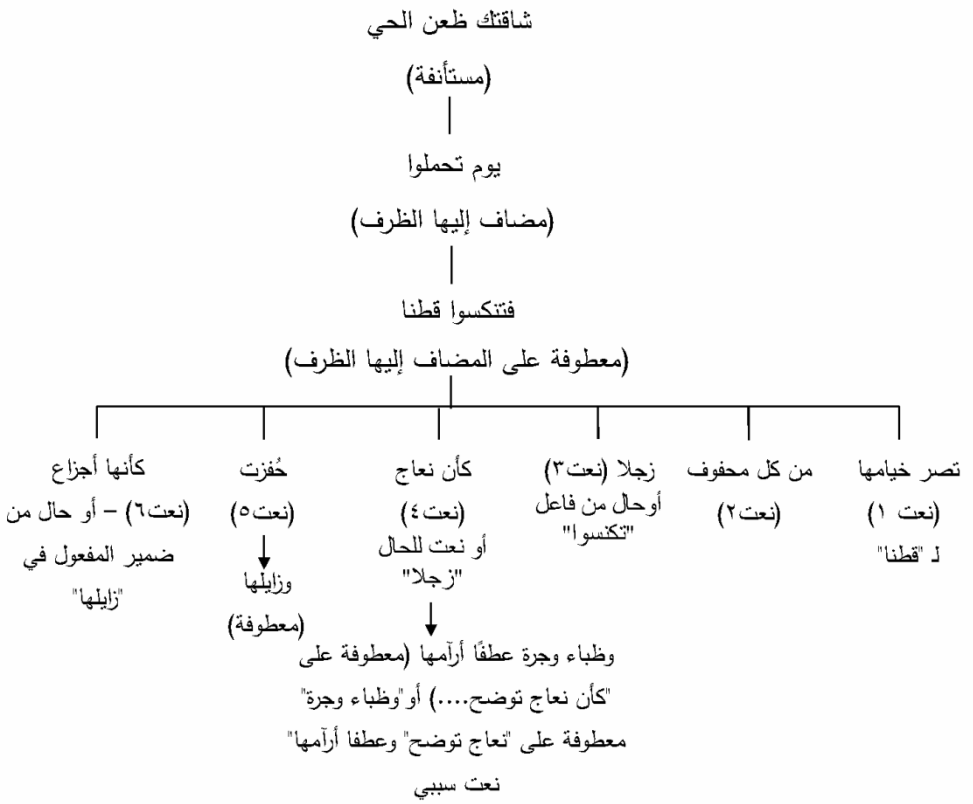

تبين أن جملتي (كأن نعاج توضح فوقها)، و(كأنها أجزاع بيشة)، نعتان للمفعول به "قطنا" من ستة نعوت؛ لكن الأولى منها تحتمل توجيهًا آخر لموقعها، هو كونها نعتا للحال "زجلا"، التي هي نعت ثالث لـ "قطنًا"، ويكون المعنى على هذا التوجيه أن ارتحال القطن في جماعات تشبه نعاج توضح في ارتحالها في جماعات، وتشبه ظباء وجرة التي انعطفت أرآمها. والثانية منها تحتمل وجهًا آخر، هو كونها حالًا من ضمير المفعول به "زايلها"، وعلى هذا التوجيه يكون المعنى أن هذه القطن في حال اندفاعها من سراب إلى سراب تشبه أشجار الأثل الضخام والصخور المتراكبة العظام التي تقف على منحنيات ومعاطف أودية بيشة.

فعلى هذين التوجيهين النحويين لجملتي "كأن نعاج ..."، و"كأنها أجزاع بيشة"، تكون الجملة قد طالت بأربعة نعوت فقط، من جهة البناء النحوي، ويكون التشبيهان معنيين

متعلقين بمعنيين فرعيين، هما ارتحال القطن في جماعات، وسيرها مسرعة من سراب إلى سراب.

والجملة التي طالت بها جملة النعت أو الحال "كأن نعاج توضح فوقها"، وهي (وظباء وجرة عطفا أرآمها)، لها أيضًا توجيهان نحويان؛ الأول: أنها معطوفة على جملة النعت أو الحال "كأن نعاج ..."، وقد حذف حرف النسخ والتشبيه "كأن"؛ اكتفاء به في الجملة الأولى، و"ظباء وجرة" اسمها، و"عطفًا" حال من "ظباء وجرة"، و"أرآمها" خبر. ويكون المعنى: تشبيه القطن وعليها النساء الظاعنات وفيهن محبوبته، قد كنسن بها، بنعاج توضيح، ثم تشبيه ظباء وجرة حال انعطافها على صغارها - وهو أجمل لها في هذه الحال - بهؤلاء النسوة الصغيرات، والضمير في" أرآمها" يعود على" نعاج توضح". والتوجيه الثاني أن "ظباء وجرة" معطوف على "نعاج توضح"، وعطفًا أرآمها" نعت سببي لها. ويكون المعنى تشبيه القطن وعليها الظاعنات بنعاج توضح ثم بظباء وجرة التي تعطف على صغارها. والفارق في المعنى أن التوجيه الأول يشبه "ظباء وجرة" منعطفات بهؤلاء النسوة الظاعنات، على القلب في التشبيه، بينما في الثاني يشبه النساء المكنسات في القطن بنعاج توضح وبظباء وجرة التي انعطفت أرآمها.

وفى ملحمة ذي الرمة في الجملة الأطول في النص، والتي شغلت الأبيات من 25-126، والتى يصف فيها سرعة ناقته التي يرحل عليها إلى مي؛ جاءت سبعة نعوت للمنعوت المحذوف "ناقة" متفرعة من عدة نعوت يصف بها نفسه، وقد طرقه خيال مي: " زار الخيال لميٍّ هاجعًا ... " يقول[1]:

27- أَخَا تَنَائِفَ أَغْفَى عِنْدَ سَاهِمَةٍ ... بِأَخْلَقِ الدّفّ من تَصْدِيرِهَا جُلَبُ

28- تشكو الخَشاشَ ومَجْرى النّسعتَينِ كما ... يشكو المريضُ إلى عُوّادِهِ الوَصِبُ

29- كَأَنّها جَمَلٌ وَهْمٌ، وما بَقِيَتْ ... إلّا النّحيزَةُ والألواحُ والعَصَبُ

30- لاَ تُشْتكى سقطةٌ منها، وقد رَقَصَتْ ... بِهَا المَعاطشُ، حتى ظهْرُها حَدِبُ

(1) ذو الرمة، غيلان بن عقبة: شاعر أموي، عده ابن سلام من فحول شعراء الإسلام، توفي في خلافة هشام بن عبد الملك وهو ابن أربعين سنة. انظر: د. الهاشمي: الجمهرة ج 2، ص 941.

31- كَـأَنّ صـاحِبَها يَهْـوي بِمُنْخَـرَقٍ مِـنَ الجَنـوبِ، إذا مـا ركبُهـا نَـصَبوا

32- وَالعـيسُ مِـن عاسِـجٍ أَو واسِـجٍ خَبَبًـا يُنحَـزْنَ مِـن حافتَيهـا وَهـيَ تَنـسَلِبُ

33- تَخـدي بِمُنخَـرِقِ الـسِربالِ مُنـصَلِتٍ مِثـلِ الحُـسامِ إِذا مـا صَـحبُهُ شَـحَبوا

34- تُـصغي إِذا شَـدَّها بِـالكورِ جانِحَـةً حَتّـى إِذا مـا استَوى في غَرزِهـا تَثِـبُ[1]

فجملة " كَأَنّ صاحِبَها يَهْوي بِمُنْخَرِقٍ ..." جاءت إما توكيدًا أو عطف بيان لجملة النعت " لاَ تُشْتَكى سقطةٌ منها"، أو هي نعت سادس للمنعوت المحذوف "ناقة" بعد نعته المفرد "ساهمة"، والجمل النعوت الأربعة، وبسطها كالتالي:

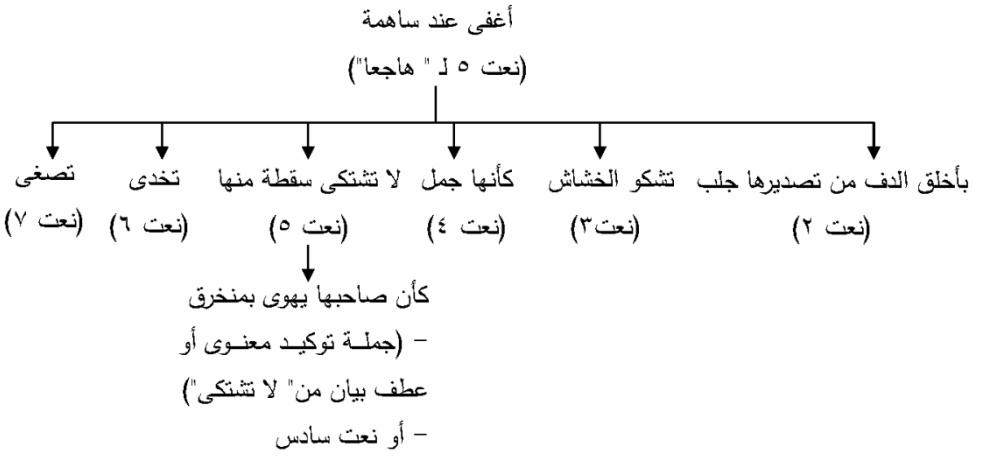

والفارق الدلالي بين الإعرابين أن إعرابها توكيدًا أو عطف بيان يبين معنى ثبات هذه الناقة في انطلاقها السريع، قاطعة المفاوز وقد احدودب ظهرها من الهزال، بلا فتور ولا عثار [2]، بتصوير راكبها بأنه منطلق في ممر ريح الجنوب الشديدة السرعة، في الوقت الذي يسير فيه

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 947-948.

(2) السقطة: العثرة والفترة . انظر: ديوان ذي الرمة، غيلان بن عقبة العدوي، شرح الإمام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي، تحقيق: د. عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1414هـ = 1993م، ج1، ص 44.

صحبه سيرًا غير سريع، وهو معنى متفرع من معنى انطلاقها السريع، كما أن الجملة تكون امتدادًا نحويًّا لجملة "لا تُشتكى"، أما على إعرابها نعتًا سادسًا، فإن معنى انطلاقها السريع براكبها كأنه يمر مر رياح الجنوب السريعة، يكون وصفًا مباشرًا للناقة من بين جملة الأوصاف السبعة التي يصف بها جراحها وألمها من أثر السيور، ثم حجمها وطمأنينة راكبها عليها، ثم إسراعها الشديد، ثم وصف راكبها، ثم كيفية تهيؤها للانطلاق، وتكون جملة "كأن صاحبها يهوي ..." امتدادًا نحويًّا للجملة الطويلة، ومعنى فرعيًّا من معانيها.

3- اتجاهات إطالة الجملة الطويلة:

اتخذ بناء الجملة الطويلة في نصوص الجمهرة اتجاهات ثلاثة في الإطالة؛ اتجاه الامتداد: بإطالة أحد عناصرها الإسنادية أو غير الإسنادية أو هي ككل، بجملة أو أكثر، واتجاه التفرع: بأن يطول أكثر من عنصر من عناصر الجملة إسناديًّا كان أو غير إسنادي، أو هي ككل، بجملة أو أكثر. واتجاه التعدد: بإطالة أحد عناصر الجملة الإسنادية أو غير الإسنادية، بوظيفة نحوية واحدة من الوظائف التي تتعدد؛ كالخبر والحال والنعت والعطف.

أولًا: اتجاه الامتداد:

من أمثلته قول مالك بن العجلان في مذهبته[1]:

14- مـــا مثـــلُ قَـــوْمِي قـــومٌ، إذا غَـــضِبُوا عِنْـــدَ قِـــرَاعِ الحُـــرُوبِ، وانْـــصَرِفُوا

15- يَمْـــشُونَ مَـــشْيَ الأُسُـــودِ فِي رَهْـــجِ الـــ ـــمَـــوْتِ إلَيْـــهِ، وَكُلّهُـــمْ لَهَـــفُ[2]

فقد امتدت الجملة المستأنفة "ما مثل قومي قوم" بالجملة المضاف إليها الظرف "إذا غضبوا"، ثم امتدت هذه بجملة مضاف إليها الظرف "عند قراع الحروب"، الذي هو ظرف للفعل "غضبوا"، ثم طالت الأخيرة بالجملة المعطوفة "وانصرفوا"، ثم طالت هذه المعطوفة بجملة حال من فاعلها "يمشون"، أو مستأنفة، ثم طالت جملة الحال بجملة حال من فاعلها

(1) مالك بن العجلان: شاعر جاهلي، كان سيد الأوس والخزرج في يثرب. انظر: د. الهاشمي: الجمهرة، ج 2، ص 637.

(2) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 639.

"وكلهم لهف"، والبسط التالي يوضح هذا الامتداد:

ما مثل قومي قوم

(مستأنفة)

↓

إذا غضبوا

(مضاف إليها الظرف)

↓

عند قراع الحروب

(مضاف إليها الظرف)

↓

وانصرفوا

(معطوفة على المضاف إليه)

↓

يمشون

(حال) أو مستأنفة

↓

وكلهم لهف

(حال)

- ومن أمثلة الامتداد أيضًا قول المسيب بن علس في منتقاته:

7- وَلَقَــدْ رَأَيْــتُ الفــاعِلينَ وَفِعْلَهُــمْ وَلِــذي الرّقِيبَــةِ مالــكٍ فَــضْلُ

8- كَفّــاهُ، مُخْلِفَــةٌ ومُتْلِفَــةٌ وَعَطــاؤُهُ مُتَخــرِّقٌ جَــذْلُ[1]

الجملة المستأنفة (ولقد رأيت الفاعلين) طالت في اتجاه الامتداد بالجملة المعطوفة (ولذي

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 549.

الرقيبة مالك فضل)، ثم طالت هذه المعطوفة بجملة بدل منها (كفّاه مخلفة)، ثم طالت هذه بجملة معطوفة عليها (وعطاؤه متخرق)، ثم طالت هذه بجملة بدل منها (يهب الجياد) –أو هي بدل من المعطوف عليها "كفاه مخلفة"، ثم طالت جملة البدل بجملة حال من المفعول به "الجياد" (كأنها عسب)، ثم طالت جملة الحال بجملة نعت من الخبر "عسب" (أطار نسيلها البقل). وبسط هذه الأبيات يبين هذا الامتداد على النحو التالي:

ولقد رأيت الفاعلين

(مستأنفة)

↓

ولذي الرقيبة مالك فضل

(معطوفة)

↓

كفاه مخلفة

(بدل)

↓

وعطاؤه منخرق

(معطوفة)

↓

يهب الجياد

(بدل من المعطوفة أو المعطوف عليها)

↓

كأنها عسب

(حال)

↓

أطار نسيلها البقل

(نعت)

ثانيًا: اتجاه التفرع:

من أمثلته قول دريد بن الصمة في منتقاته[1]:

5- وقلتُ لِعَارِضٍ وَأَصْحَابِ عَارِضٍ وَرَهْطِ بني السّوْدَاءِ، وَالقَوْمُ شُهّدِي

6- علانيةً: ظُنّوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ سَرَاتُهُمُ في الفَارِسِيّ المُسَرَّدِ

7- فَقُلتُ لَهُم إِنَّ الأَحاليفَ هذه مُطَنِّبَةً بَينَ السِّتارِ فَثمهَدِ[2]

فالجملة المستأنفة (وقلت لعارض) طالت بثلاثة عناصر: **الأول:** جملة الحال (والقوم شهَّدي) من فاعل "قلت". **الثاني:** جملة المفعول به (ظنوا) للفعل "قلت". **الثالث:** الجملة المعطوفة (فقلت لهم) التي عطفت على الجملة ككل "وقلت لعارض".

ويتضح تفرع هذه الإطالة في الشكل التالي:

وقلت لعارض

(مستأنفة)

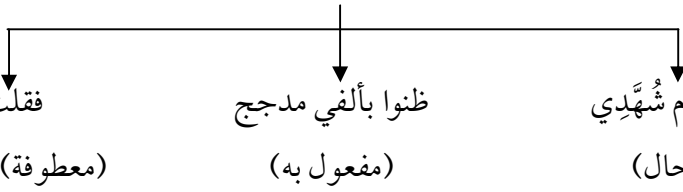

- ومن أمثلته أيضًا قول النابغة الجعدي في مشوبته:

64- وَنَحْنُ أُناسٌ لاَ نُعَوّدُ خَيْلَنَا إذا ما التقينا، أن تَحيدَ وَتَنفُرا

65- وما كانَ مَعْرُوفًا لَنَا أَنّ نَرُدّهَا صِحاحًا، ولا مُسْتَنْكَرًا أن تُعقَّرا[3]

(1) دريد بن الصمة: شاعر فحل جاهلي شجاع، جعله ابن سلام أول الشعراء الفرسان، أدرك الإسلام فلم يسلم، وقتل يوم حنين على شركه. انظر: د. الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 587.

(2) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 588-589.

(3) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 785.

فالجملة المستأنفة "ونحن أناس" قد طال عنصران منها:

الأول: الخبر "أناس" طال بجملة نعت – أو خبر ثان – (لا نعود خيلنا)، ثم طال هذا الخبر بجملة مضاف إليها الظرف (إذا ما التقينا)، وبمفعول به (أن تحيد)، ثم بجملة معطوفة عليها (وتنفرا).

والثاني: جملة الخبر كلها طالت بجملة معطوفة عليها (وما كان معروفًا لنا أن نردها ...)، أو هي معطوفة على الخبر الثاني "لا نعود خيلنا"، وتكون الإطالة هنا في اتجاه الامتداد.

ويمكن بسط هذه الإطالة على النحو التالي:

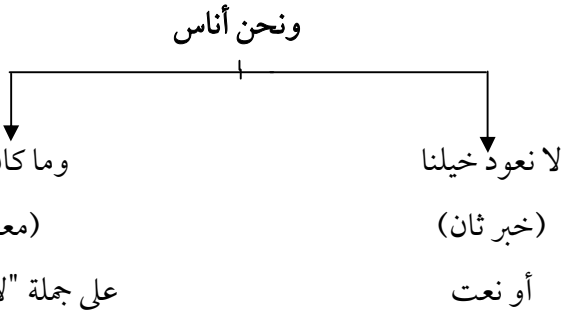

ثالثا: اتجاه التعدد:

ومن أمثلته الأظهر المطولات من قصائد الجمهرة كسمطيْ لبيد بن ربيعة وطرفة بن العبد، ومجمهرة عبيد بن الأبرص، ومرثية مالك بن الريب التميمي، ومشوبتي الشماخ بن ضرار الذبياني والنابغة الجعدي، وملحمة ذي الرمة. وقد سبق الاستشهاد ببعضها على طريقة الإطالة بالنعوت والمعطوفات.

– من نماذج اتجاه التعدد بالأخبار قول الشماخ بن ضرار الذبياني في مشوبته واصفًا قوس القواس[1]:

37- هَتُوفٌ، إذا ما خَالَطَ الظبيَ سَهْمُهَا وَإنْ رِيعَ مِنْهَا أَسْلَمَتْها النّوافِزُ

((1 الشماخ بن ضرار الذبياني: شاعر مخضرم، عده ابن سلام في الطبقة الثالثة من فحول الجاهلية. انظر: د. الهاشمي: الجمهرة، ج 2، ص 823.

38- كَـــأَنَّ عَلَيْهَـــا زَعْفَرانًـــا تُمِـــيرُهُ خَـــوَازِنُ عَطَّـــارٍ ثَـــمَانٍ، كَـــوَانِزُ

39- إذا سَـقَطَ الأَنْـدَاءُ صِـينَتْ وَأُشْـعِرَتْ حَبِـيرًا وَلَمْ تُـدْرَجْ عَلَيْهَـا المَعَـاوِزُ[1]

فالجملة المستأنفة "هتوف" - إذ تقدير المبتدأ "هي هتوف" - قد تعدد خبرها بجملتين (كأن عليها زعفرانًا - إذا سقط الأنداء). وقد حذف الرابط في الثانية، وتقديره "عليها"، ويمكن توضيح هذا البناء في البسط التالي:

هتوف (مستأنفة)

كأن عليها زعفرانًا (خبر 2) إذا سقط الأنداء صيت (خبر2)

وقد تكون الجمل مستأنفات بعد الجملة المستأنفة في البيت 36:

36- إِذا أَنبَضَ الرامونَ عَنها تَرَنَّمَت تَرَنُّمَ ثَكلى أَوجَعَتها الجَنائِزُ[2]

وإن كانت الجمل الأربعة هي نعوت للقوس من جهة المعنى لا من جهة الصناعة النحوية.

- ومن نماذج الإطالة في اتجاه التعدد بالأحوال قول النابغة الجعدي في مشوبته، يصف البقرة الوحشية:

30- فَبَاتَـــتْ ثَلاثًـــا بَـــيْنَ يَـــوْمٍ وَلَيْلَـــةٍ يكـــون النكـــيرُ أنْ تُـــضيفَ وتجـــأرا

31- تـــلألأُ كالـــشِّعرى العَبـــورِ تَوَقّـــدَتْ وكـــانَ عـــماءً دونَهـــا فتَحَـــسّرا[3]

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 832-833. وتجدر الإشارة إلى أن نص الشماخ بن ضرار تمتد جملته الطويلة من أول النص إلى آخره، في بناء نحوي متفرد. ولا يسع الدراسة أن تبسط هذه الجملة الطويلة؛ لأن ذلك يقتضي كتابة النص كاملًا وعدته اثنتان وخمسون بيتًا.

(2) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 832.

(3) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 779.

فالجملة المعطوفة "فباتت" قد طالت بجملتي حال (يكون النكير أن تضيف – تلألأ ...). ومن فريد بناء الجملة الطويلة بالحال المتعددة فيها: أن تطول جملة الحال بجملة حال أخرى، ثم تطول هذه الأخرى بجملة حال من الفاعل في جملة الحال الثانية، فيصبح الحال مركبًا [1]؛ وذلك كما في الشكل التالي:

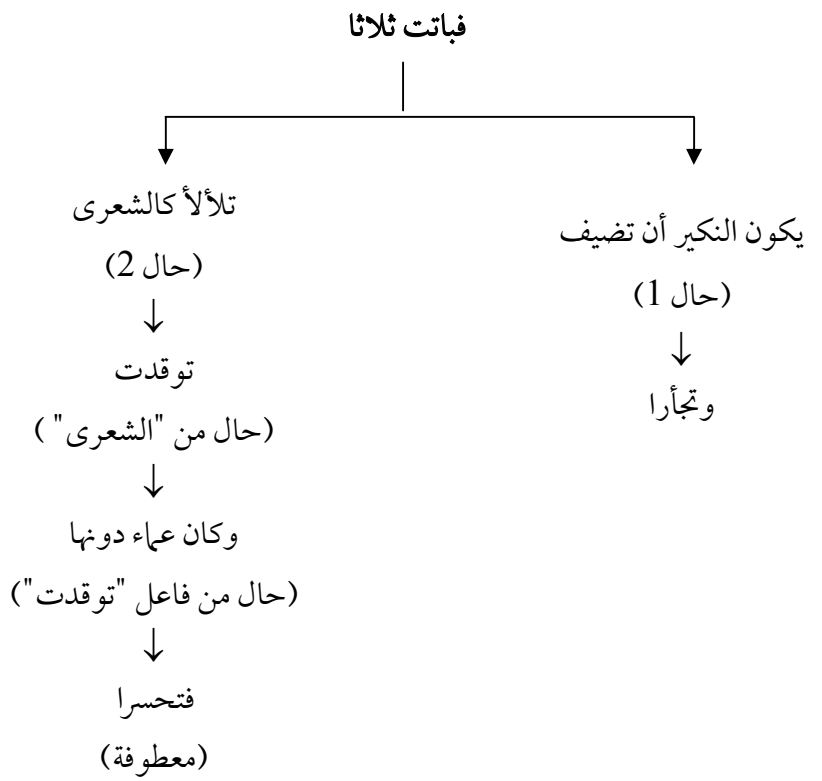

(1) انظر: د. حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، ص 73. ومثل هذه الطريقة في تعدد الأحوال وتراكيبها جاءت أيضًا في مذهبة قيس بن الخطيم في البيتين 3 –4. انظر: الهاشمي ص646، وفي مشوبة الشماخ في الأبيات 11 – 13، نمط فريد من التركيب النحوي لجملة الحال؛ إذ جمع بين الأحوال المتعددة والممتدة جملة من جملة، انظر ص 826 –827. ومن النمط الفريد أيضًا في الإطالة بتعدد الأحوال، أن الإطالة تكون بمفردات متعاطفات لكل منها جملة حال. ومثالها الأبيات 9 –11 من منتقاة المسيب بن علس، والأبيات من 5 –9 من مرثية علقمة بن ذي جدن الحميري، ص 549، مج 1، ص 726، مج 2.

فجملة الحال "تلألأ كالشعرى العبور" قد طالت بجملة حال من "الشعرى" (توقدت) ثم طالت هذه الجملة الحالية بجملة حال من فاعلها (وكان عماء دونها فتحسرا)، فتراكبت ثلاث جمل أحوال امتدت إحداها من الأخرى، وكانت جملتها الأولى حالًا متعددة، فاجتمع في جملة واحدة إطالة بالتعدد وبالامتداد. ومن ناحية أخرى يلاحظ أن جملة "فتحسرا" وإن كانت معطوفة على جملة الحال "وكان عماء دونها" من جهة التركيب النحوي، فإنها من جهة المعنى جزء من الحال؛ إذ يشبِّه الجعدي هذه البقرة وقد انفردت ثلاث ليال وأيامها تصيح متفقدة ولدها، شبهها في بياضها وانفرادها في ظلمات الليالي ونهارات أيامها بالشعرى العبور، التي تتلألأ وقد انحسر عنها السحاب الكثيف فهي أشد وضوحا وتلألؤًا. ودلالة تراكب الحال في هذه الجملة الطويلة تثبيت مشهد لونها، وظهورها وبداخل إطاره حركتها الذاهبة الجائية صائحة بولدها.

ويمكن توجيه الجملة "وكان عماء دونها فتحسرا" على أنها حال ثالثة من البقرة – لا من الشعرى العبور – أو مستأنفة، فيكون المعنى أنها ظلت أيامها ولياليها الثلاثة تجأر منادية ولدها، ملتمعة في انفرادها كالشعرى العبور، يخفيها الضباب الكثيف أو المطر الشديد، ثم ينحسر عنها.

ومستند هذا التوجيه الرواية الزائدة بعد البيت 31 التي أوردها د. الهاشمي:

– يَمُورُ النَدَى في مدرييها كأَنَّهُ فَرِيدٌ هَوى مِن سِلكِهِ فَتَحَدَّرا[1]

وتكون هذه الجملة في الرواية الزائدة حالًا رابعة من البقرة.

– ومن نماذج الإطالة بتعدد الأحوال أيضًا قول الشماخ في مشوبته يصف حسن قيادة الحمار الوحشي لأتنه واتباعها نهجه:

وَظَلّتْ بِأَعْرَافٍ كَأَنّ عُيُونها إلى الشَمْسِ، هل تدْنو رَكي نواكِز

هُنّ صَلِيلٌ يَنْتَظِرْنَ قَضَاءَهُ بِضَاحِي عَذاةٍ أَمْرُهُ، فهو ضامِرُ[2]

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 779 هامش 3.

(2) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 825.

فالجملة المعطوفة "وظلت بأعراف" قد طالت بثلاث جمل أحوال متعددة (كأن عيونها ركي – لهن صليل – ينتظرن قضاءه ... أمره). وفي هذه الجملة الطويلة نمط فريد أيضًا في التركيب النحوي لجملة الحال الأولى "كأن عيونها إلى الشمس هل تدنو ركي نواكز"؛ إذ فصل فيها بين اسم كأن "عيونها" وخبرها "ركي" بحال حذفت تقديرها "ناظرة" أو "هي تنظر"، وبقي متعلقها "إلى الشمس هل تدنو"؛ إذ المعنى: كأن عيونها وهي تنظر إلى الشمس في انتظار مغيبها ركي نواكز، أي آبار غار ماؤها، أي من شدة ظمئها وإعيائها. فتفرد التركيب النحوي هنا في امتداد جملة حال من جملة حال من جملة حال، وفي الفصل بين عنصري جملة الحال الإسناديين بجملة حال. وكثافة التركيب النحوي بالأحوال على هذا النحو ينقل صورة ثبات هذه الأتن ثباتًا كاملًا في أماكنها، رغم ما عليه من ظمأ وإعياء، منقادة لحال قائدها الضافر، أي الساكن الذي لا يتحرك، مفكرًا في الخطوة التالية؛ بحثًا عن الورد. وهذا الانقياد فيه ما فيه من حسن الاتباع والطاعة لقيادة حكيمة صارمة.

– يمكن استخلاص ثلاث سمات لاتجاهات إطالة الجملة الطويلة في نصوص الجمهرة:

الأولى: ارتباط اتجاه الإطالة بطرق الإطالة، بمعنى أنه يغلب أن يكون اتجاه الإطالة بالتعدد عن طريق الإطالة بالنعوت وبالمعطوفات، وأن يكون اتجاه الإطالة بالامتداد وبالتفرع بوظائف نحوية متنوعة في الجمل[1].

الثانية: تنوع اتجاهات الإطالة في النص الواحد؛ إذ يكون في كل نص اتجاهان أو ثلاثة اتجاهات[2]، وإن كان يغلب على كل نص منها اتجاه من الاتجاهات الثلاثة. فالمطولات مثلًا، وإن تنوعت فيها اتجاهات الجمل بين الامتداد والتفرع والتعدد، فإنها يغلب عليها اتجاه التعدد. ومذهبة قيس بن الخطيم وعمرو بن امرئ القيس يغلب عليهما التفرع والامتداد، في

(1)انظر على سبيل المثال: معلقة طرفة بن العبد: 71، 72، 85 – مذهبة قيس بن الخطيم: 15 – مذهبة عمرو بن امرئ القيس: 9 – مذهبة أحيحة بن الجلاح: 2، 5، 16 – مالك بن العجلان: 18 – نابغة بني جعدة: 6 – الشماخ بن ضرار الذبياني: 11 – دريد بن الصمة: 1، 3.

(2) انظر على سبيل المثال: طرفة بن العبد: 73– 76– 108 – قيس بن الخطيم: 6–8 – مالك بن الريب التميمي 35 – المرقش الأصغر: 8–10 – المسيب بن علس: 4 – دريد بن الصمة 12– 17 – عروة بن الورد: 6– 19.

حين أن منتقيات المسيب بن علس وعروة بن الورد والمرقش الأصغر يغلب عليها التعدد والامتداد.

الثالثة: ارتباط اتجاهات الإطالة بحركة المعاني ورحلتها في النص الشعري .

4- خصائص بناء الجملة الطويلة :

تميز بناء الجملة الطويلة في نصوص الجمهرة بثلاث خصائص رئيسة هي:

- قطع سياق التعدد بالنعوت أو المعطوفات أو الأحوال بجمل مستأنفة، خبرية أو إنشائية، ثم العودة إلى سياق التعدد بهذه الجمل مرة أخرى.
- ارتباط الجملة الأطول في النص بأصل المعنى فيه.
- تضافر بناء الجملة الطويلة مع بناء الصورة الشعرية، ومع بناء الفصول الدلالية، وسوف يتم تناول هذه الخاصية في مبحث أبنية الدلالات من الفصل الثالث.

الخاصية الأولى: قطع سياق التعدد بالنعوت أو المعطوفات، أو الأحوال بجمل مستأنفة، خبرية أو إنشائية، ثم العودة إلى سياق التعدد بهذه الجمل مرة أخرى. وقبل التمثيل لهذه الملاحظة تنبغي الإشارة إلى ثلاث نقاط:

أ- أن الجملة المقطوعة المستأنفة في سياق الجملة الطويلة تعد استمرارًا لهذا الطول؛ إذ الاستئناف من طرق إطالة الجملة[1]، بالإضافة إلى أن الاستئناف الذي يعد استمرارًا لإطالة الجملة هو الذي استمرت به الدلالة في الجملة الطويلة، فجاءت الجملة المستأنفة متسقة مع هذا السياق الدلالي، وهو يختلف عن الاستئناف الذي يبتدي معنى جديدًا ثم لا يعود بعده لسياق التعدد الذي سبق الجملة المستأنفة، وسوف يأتي تفضيل أنماط الجمل المستأنفة في مبحث بناء الجملتين في أنماط الجمل المستأنفة، وفي فصل بناء الدلالة.

(1) ذكر د. محمد جمال صقر أن من طرق امتداد الجملة الاستئناف، وهو أن يبتدأ بالممتدة إليها بعد الممتدة. انظر: الأمثال العربية القديمة، دراسة نحوية، ص 34.

ب- استمرار تعدد احتمالات التوجيه الإعرابي للجمل التي تكوّن سياق التعدد للنعوت والمعطوفات والأحوال، والتي تقطعها الجملة المستأنفة، فتثبت الملاحظة على أحد هذه الأوجه الإعرابية وتنتفي على الأخرى.

ج- هذه الطريقة في بناء الجملة الطويلة تمثل الوجه النحوي لإحدى طرق بناء الدلالة الجزئية والفرعية في النص الشعري، ويسميها البلاغيون "الاستطراد "، وسوف يتم تناولها في مبحث طرق بناء الأبنية الدلالية من فصل بناء الدلالة.

من نماذج هذه الخاصية ما جاء في منتقاة دريد بن الصمة في البيت 22 حتى آخر النص، حاملًا نفس الخيط الدلالي الخفي الذي انتظم دلالات النص جميعًا، وهو التخفف من وطأة الإحساس الخفي بالتقصير في الدفاع عن أخيه. وقد جاء هذا القطع لسياق الأخبار المتعددة – وإن كان بعضها أخبارًا مفردة - بجملة مستأنفة، ثم العودة إلى سياق الأخبار، ثم قطعه بجملة مستأنفة ثم العودة لسياق الأخبار مرة أخرى. ويلاحظ احتمال توجيه الجمل المقطوع سياقها توجيهًا آخر أنها مستأنفات أيضًا، وهي الجمل (إذا ترك الأرض - له كل من يلقى - تراه - صبا) يقول:

22- كَمـيشُ إِزارٍ خـارِجٌ نِـصفُ سـاقِهِ صَـبورٌ عَـلى العَـزاءِ طَـلَّاعُ أَنجُـدِ

23- قَليـلٌ تَـشَكّيهِ المُـصيباتِ ذاكِـر مِـنَ اليَـومِ أَعقـابَ الأَحاديـثِ في غَـدِ

24- إِذا نـزل الأَرضَ الفَـضاءَ تَزَيَّنَـتْ لِرُؤيَتِـهِ كَالمَـأتَمِ المُتَبَـدِّدِ

25- وَكـم غـارَةٍ بالليـل واليـوم قبلـه تَـدارَكتُها يومـا بِـسِيدٍ عَمَـرَّدِ

26- سَليمِ الشَظا، عَبلِ الشَوى، شَنِجِ النَّسا طَويـلِ القَـرا، نَهـدٍ أَسـيلِ المُقَلَّـدِ

27- يَفـوتُ طَويـلَ القَـومِ عَقـدُ عِـذارِهِ منيـفٍ كَجِـذعِ النَخلَـةِ المُتَجَـرِّدِ

28- وَكُنـتُ كَـأَنّي واثِـقٌ بِمُـصَدَّرٍ يمَـشي بِأَكنـافِ الجُبيـل فَنَهْمَـدِ

29- لَـهُ كُـلُّ مَـن يَلقـى مِـنَ النـاسِ واحِـد وَإِن يَلـقَ مَثنـى القَـومِ يَفـرَح وَيَـزدَدِ

30- وَهَـوَّنَ وَجـدي أَنَّنـي لَم أَقُـل لَـهُ كَـذَبتَ وَلَم أَبخُـل بِـما مَلَكَـت يَـدي

31- تَــراهُ خَمِــيصَ الــبَطنِ وَالــزادُ حــاضِرٌ عَتيــدٌ وَيَغــدو في القَمــيصِ المُقَــدَّدِ

32- صَـبا مـا صَـبا حَتّـى عَـلا الـشَيبُ رَأسَـهُ فَلَـمّا عَــلاهُ قــالَ لِلباطِــلِ ابعُــدِ[1]

ويمكن إيجاز هذه الطريقة في البسط التالي:

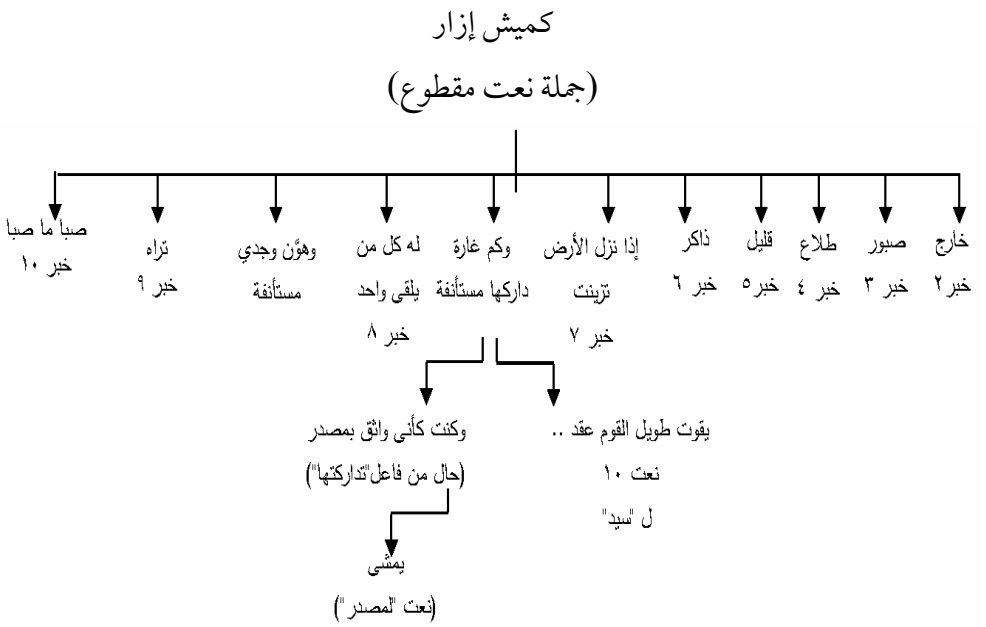

فقطع سياق الأخبار التي يمجد فيها مآثر أخيه بجملة مستأنفة "وكم غارة تداركتها يومًا بسيد عمرد"، يمتدح بها شجاعته وقوة فرسه؛ ليقرر في نفسه أنه بذل كل ما يستطيع من قوة دفاعًا عن أخيه، ثم يعود إلى سياق التعدد في الأخبار، ثم يقطعه بالجملة المستأنفة "وهون وجدي"؛ يعزي نفسه عن فقد هذا الذي يتذكر محامده، بأن كان كريمًا نبيلًا معه لم يسئ إليه ولم يمنع عنه، وهي موجة أخرى من المشاعر حالَ الحزنِ، تتتابع مع موجات لوعة الفقد، وتذكر المحامد، واستبقاء الذكريات التي تتدفق في النفس الإنسانية متتابعة أو متداخلة، لكن الشاعر وحده هو الذي يستطيع التمييز بين غواربها في نفسه بصياغتها شعرًا.

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 592-594. والبيتان الأخيران جاءا في رواية زائدة. انظر: الهاشمي، ج1، هامش 3، ص 654.

ومن نماذج هذه الخاصية أيضًا قول علقمة ذي جدن الحميري في مرثيته التي يرثي بها ملوك قومه باليمن[1]:

4. لـــو كـــان حـــيٌّ مُفلِتًـــا حَينَـــهُ أَفْلَـــتَ مِنْـــهُ في الجِبِـــالِ الـــصَّدَعْ
5. أَوْ مَلِـــكُ الأَقْـــوَالِ ذُو فَـــائِشٍ كَـــانَ مَهيبًـــا حَـــائِزًا مـــا صَـــنَعْ
6. أَوْ تُبّـــعٌ أَسْـــعَدُ في مُلْكِـــهِ لا يَتْبَـــعُ العـــالَمَ بَـــلْ يُتّبَـــعْ
9. ومِـــثْلُهُمْ في حِمْـــيَرٍ لم يَكُـــنْ كَمِـــثْلِهِم والٍ، ولا مُتّبَـــعْ
10. فَاسَـأْلْ جَميـعَ النّـاسِ عَـنْ حِمْـيَرٍ مَـنْ أَبْـصَرَ الأَقْـوَالَ أَوْ مَـنْ سَـمِعْ
11. يُخْـبِرْكَ ذو العِلْـم بِـأَنْ لَمْ يَـزَلْ هُـمْ مِـنَ الأَيّـامِ يَـوْمٌ شَـنَعْ
12. لَـهُ سَـماءٌ، وَلَـهُ أَرْضُـهُ مَـن ذا يُعـالي ذا الجَـلالِ اتّـضَعْ
13. اليَـوْمَ يُجْـزَونَ بِـأَعْمَالِهِمْ كـلُّ امـرِئٍ يَحْـصُدُ مـا قـد زَرَعْ
14. صَـارُوا إلى اللَّهِ بِـأَعْمَالِهِمْ يُجْـزي مَـنْ خَـانَ وَمَـنِ اتَّـزَعْ
15. فَكَيْـفَ لا أَبْكِـيهِمُ دَائِبًـا؟ وَكَيْـفَ لاَ يُـذْهِبُ نَفْـسي الهَلَـعْ
19. بَنَـوا لِمَـنْ خُلِّـفَ، مـن بَعْـدِهِمْ مَجْـدًا، لَعَمْـرُ اللَّهِ، مَـا يُقْتَلَـعْ
21. تَنْظُـرُ آثَـارَهُمْ، كُلّـما عاينهـا النّـاظِرُ مِنّـا سَـجَعْ
22. تعْـرفُ في آثَـارِهِمْ أَنّهُـمْ أَرْبَـابُ مُلْـكٍ لَـيْسَ بِالمُبْتَـدَعْ
24. هَـلْ لأُنـاسٍ مِثْـلُ آثـارِهِمْ بِمِـأْرِبٍ ذاتِ البِنـاءِ اليَفَـعْ[2]

(1) علقمة بن ذي جدن الحميري: كان ملكًا بالبون، إحدى مدن اليمن، مات قتلًا. انظر: د. الهاشمي: الجمهرة، ج 2، ص 725.

(2) الهاشمي: الجمهرة، ج21، ص 726-728.

فالجملة الطويلة في البيت 4 "لو كان حيٌّ مفلتا حينه أفلت منه الصدع" طالت بعدد من المفردات المعطوفة على الفاعل "الصدع" (أو ملك الأقوال - أو تبع ويهبرٌ- وذو خليل - ومثلهم)، ثم طالت بجمل حال من هذه المفردات المتعاطفة. والمعطوف الأخير من هذه المعطوفات "ومثلهم" طال بجملتي حال (أو نعت) – الأولى منهما شبه جملة (في حمير - لم يكن كمثلهم وال)، ثم قطع هذا السياق من الأحوال (أو النعوت) المتعددة بجملة إنشائية مستأنفة (فاسأل جميع الناس... يخبرك)، ثم استؤنف سياق الأحوال (أو النعوت) المتعددة بجملتي حال (أو نعت) (اليوم يجزون – صاروا إلى الله)، ثم قطع السياق بجملة إنشائية مستأنفة (فكيف لا أبكيهم)، ثم استمر سياق التعدد بجملتي حال (أو نعت) (تنظر آثارهم – تعرف في آثارهم)، ثم ختم النص بجملة مستأنفة إنشائية أيضًا (هل لأناس مثل آثارهم).

وهذه الطريقة في بناء هذه الجملة الطويلة - قطع سياق تعدد الأحوال (أو النعوت) بجمل إنشائية مستأنفة، ثم العودة لسياق التعدد - تفيد الإعجاب والتعجب، الإعجاب بعظمة هؤلاء الملوك والولاة، وما خلفوا من آثار تنطق بهذه العظمة، والتعجب من مآلهم؛ ومن ثم التحسر على ذهابهم. فمجيء هذا التعجب وذلك الإعجاب في سياق متصل من أوصافهم وأوصاف آثارهم يخلط العظمة بالحسرة، وحضور الآثار بغياب فاعليها.

والبسط التالي يوضح هذا البناء:

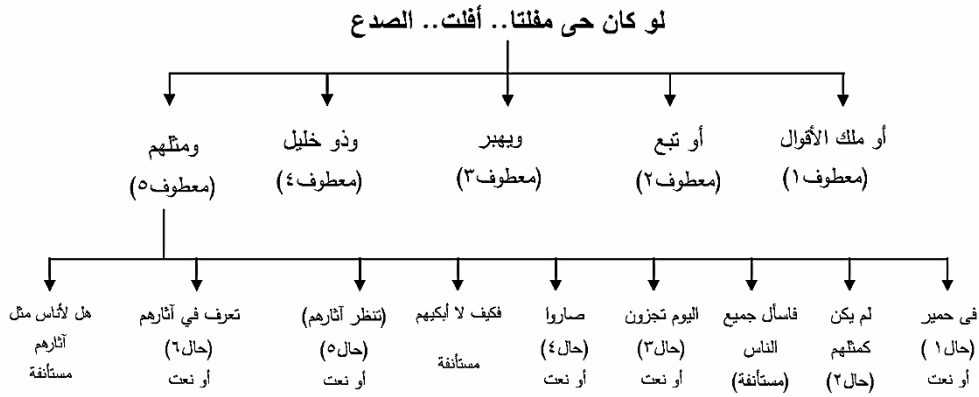

ويلاحظ – كما في بعض نماذج هذه الطريقة في بناء الجملة الطويلة – أن الجمل التي تمثل سياق التعدد للأحوال أو النعوت هنا يمكن أن تحتمل توجيهًا نحويًّا آخر هو الاستئناف، عدا الجملتين (في حمير – لم يكن كمثلهم) اللتين جاءتا حالًا أو نعتًا.

الخاصية الأخيرة: ارتباط الجملة الأطول في النص بأصل المعنى فيه:

سبق بيان أن أصل المعنى أو جذر المعنى في النص هو دلالته الكلية التي تنبثق عنها كل معانيه، وتمثل خيطًا دقيقًا ينتظم هذه المعاني، وأنه يكون ظاهرًا أحيانًا ويخفى أحيانًا أخرى.

وبتحليل بناء الجملة الطويلة في نصوص الجمهرة موضع التحليل، تبين الارتباط المطرد بين الجملة الأطول في النص وبين أصل المعنى أو جذره. والجدول التالي يوضح الجمل الأطول في النصوص موضع التحليل والغرض أو المقصد الدلالي الذي تمثله أو جاءت جزءًا منه، وأصل المعنى في النص:

النص	أبيات الجملة الطويلة	أصل المعنى	الغرض أو المقصد الدلالي
1- سمط لبيد بن ربيعة	54-16 89-55	قطع الصلة بـ "نوار"	وصف سرعة الناقة – الفخر
2- سمط طرفة بن العبد	46-11	التشبث بالكمال	وصف الناقة
3- مجمهرة عبيد بن الأبرص	32-26 44-33	بكاء الوحدة والوحشة بعد فقد الأهل بالموت	وصف الناقة وصف سرعة الفرس
4- مجهزة بشر بن أبي خازم	24-8	الفخر على تميم	الفخر على تميم
5- مجمهرة خداش بن زهير	7-1	الفخر	الفخر
6- منتقاة المسيب بن علس	14-7	الكثرة والوفرة والسخاء	مدح مالك بن سلمة القشيري
7- منتقاة المرقش الأصغر	17-11	التشوق إلى المحبوبة	وصف فرس الصيد والحرب
8- منتقاة عروة بن الورد	13-10 19-14	الفخر بنفسه بالشجاعة والكرم	الدفاع عن مذهبه في الصعلكة
9- منتقاة دريد بن الصمة	30-22	مدافعة الشعور بالمسئولية عن مقتل أخيه	التفجع بمقتل أخيه

النص	أبيات الجملة الطويلة	أصل المعنى	الغرض أو المقصد الدلالي
10- مذهبة مالك بن العجلان	6-4	التهديد بالحرب	الغضب لتخلي بني الحارث بن الخزرج عن نصرته
11- مذهبة قيس بن الخطيم	8-6 13-19 17-15 14، 18، 21	الفخر بالشجاعة	عمله على تجنب الحرب استعداده لها استعداد قومه لها بلاؤه في القتال
12- مذهبة أحيحة بن الجلاح	10-1 15-11	الاعتذار عن الانخداع بزوجته	الدفاع عن النفس
13- مذهبة عمرو بن امرئ القيس	14-12	التهديد بالحرب	الخلاف حول دية القتيل
14- مرثية أبي ذؤيب الهذلي	38-18 51-39 67-52	التعزي عن موت الأولاد	التعزي عن فقد الأولاد
15- مرثية علقمة ذي جدن الحميري	9-4	بكاء مجد قومه الغابر	رثاء ملوك حمير وممالكهم
16- مرثية متمم بن نويرة	45-30	افتقاد سند الحياة	التفجع بمقتل أخيه
17- مرثية مالك بن الريب التميمي	31-16	رثاء النفس	وصايا اللحظات الأخيرة
18- مشوبة النابغة الجعدي	31-14	استعراض خبرات الحياة	وصف سرعة الناقة
19- مشوبة القطامي	29-10	مشقة الرحلة للوصول إلى الممدوح	إنضاء الراحلة للوصول إلى المحبوبة
20- مشوبة الشماخ بن ضرار الذبياني	52-5	الارتحال عن مواطن الشك	وصف سرعة الناقة

النص	أبيات الجملة الطويلة	أصل المعنى	الغرض أو المقصد الدلالي
21- ملحمة ذي الرمة	61-25 101-62 126-102	الرحلة الدائمة للمحبوبة	وصف سرعة الناقة
22- ملحمة الطرماح بن حكيم	40-27	الفخر بالشجاعة في الحروب	الفخر بشجاعة قومه في الحروب

يلاحظ من خلال هذا الجدول ارتباط الجملة الأطول في النص بأصل المعنى فيه في عدة مستويات، على النحو التالي:

الأول: جاءت الجملة الأطول في بعض النصوص مرتكزا أساسيًا بيِّنًا لجذر المعنى في النص، حيث مثلت الغرض أو المقصد الدلالي. والأغراض والمقاصد تمثلان البنية الدلالية الأكبر من بين أبنية النص الدلالية، كما سيأتي في فصل بناء الدلالة، مبحث أبنية الدلالات. هذه النصوص هي: مجمهرة بشر بن أبي خازم – منتقاة المسيب بن علس – منتقاة دريد بن الصمة – مشوبة الشماخ بن ضرار – مرثية مالك بن الريب التميمي – ملحمة الطرماح بن حكيم.

الثاني: تمثل أصل المعنى في الجملتين الأطول في بعض النصوص وفي الثلاثة الجمل الأطول في البعض، وقد مثلت جميعًا غرضًا أو قصدًا دلاليًّا في بناء النص، وجاءت مرتبطة بالعطف غالبًا. مثل: جملتي سمط لبيد بن ربيعة – جملتي مجمهرة عبيد بن الأبرص - جملتي منتقاة عروة بن الورد – جملتي مذهبة أحيحة بن الجلاح – جملتي مشوبة القطامي – ثلاث جمل ملحمة ذي الرمة – ثلاث جمل مرثية أبي ذؤيب الهذلي.

الثالث: جاءت الجملة الأطول في النص حاملة لأصل المعنى بشيء من التأويل، أي أن الارتباط بين الجملة الأطول وبين أصل المعنى في النص خفي، يحتاج إلى إنعام نظري، مثلما في جملة سمط طرفة بن العبد – جملة مشوبة النابغة الجعدي.

الرابع: بعض النصوص ذات الغرض الدلالي الواحد، وهو التهديد، لم يتشكل بناؤها

اللفظي من جمل طويلة تحتل مساحة من مكونات النص الدلالية؛ إذ لم تطل فيها الجمل لأكثر من ثلاث، ومن ثم فإن ارتباط هذه الجمل كان بباعث النغم أظهر منه بأصل المعنى. ويمكن القول - بتعبير آخر – إن غرض النص تطابق مع أصل المعنى فيه.

الخامس: خلت بعض النصوص من هذه الخاصية؛ إما لأن الجملة الأطول جاءت في معنى لا يتضمن أصل المعنى في النص، ويصعب تأول ارتباط بينها وبين أصل المعنى، كما في مجمهرة خداش بن زهير والمرقش الأصغر، وإما لأن الجملة الأطول حملت أصل المعنى، مثلها مثل غيرها من جمل النص القصيرة أو المحدودة الطول، كما في مرثيتي متمم بن نويرة، وعلقمة ذي جدن الحميري، وإما لتعدد الجمل الأطول، واشتراكها جميعًا في حمل أصل المعنى، مثل مذهبة قيس بن الخطيم.

وبإجمال .. يخلص هذا المبحث إلى النتائج التالية:

1- الجملة النحوية الطويلة هي البنية اللفظية الأكبر في نصوص الجمهرة.

2- تتنوع طرق بناء هذه الجملة لتشمل كل الوظائف النحوية التي يمكن أن تشغلها الجملة القصيرة في النحو العربي.

3- تتنوع اتجاهات إطالة هذه الجملة الطويلة إلى: اتجاه الامتداد حيث تتوالد الجمل بعضها من بعض، واتجاه التفرع حيث تطول الجمل من أكثر من عنصر من عناصر الجملة القصيرة، واتجاه التعدد بالوظائف النحوية التي تتعدد كالخبر والنعت والعطف والحال.

4- يتسم بناء الجملة الطويلة في الجمهرة بعدة خصائص هي:

- قطع سياق تعدد الوظائف النحوية بجمل مستأنفة، ثم العودة لسياق التعدد.
- ارتباط بناء الجملة الطويلة بأصل المعنى في النص.
- تضافره مع بناء الصورة الشعرية، ومع بناء الأغراض والمقاصد الدلالية.

المبحث الثاني
بناء الجملتين

تتركز مشكلة هذا المبحث في تحديد المعنى بين الجملتين؛ استمراره أو انقطاعه، أي رصد العلاقات بين الجملتين المتعاقبتين باعتبارهما معًا وحدة من وحدات بناء الألفاظ في النص الشعري في الجمهرة، داخلةً – غالبا – في بناء وحدة أكبر من وحدات بناء الألفاظ، هي بناء الجملة الطويلة؛ ومن ثم يضم هذا المبحث العناصر التالية:

1- أنماط العلاقات بين الجملتين.
2- الفصل والوصل البلاغي.
3- صور العلاقات بين الجملتين في نصوص الجمهرة.
4- صور العلاقات بين الجملتين الطويلتين.
5- خصائص عامة لبناء الجملتين في نصوص الجمهرة.

1- أنماط العلاقات بين الجملتين:

يقتضي رصد أنماط العلاقات بين الجملتين تحديد الروابط أو العناصر التي تكوِّن العلاقة بينهما. ويمكن حصرها في ثلاثة:

الرابط النحوي – الرابط اللفظي – الرابط الدلالي.

فكل جملتين من جمل النص الشعري يربطهما أحد هذه العناصر الثلاثة، أو بعضها، أو جميعها. وعلى هذا فإن أنماط العلاقات بين الجملتين الناتجة عن وجود هذه الروابط تنقسم إلى:

1- علاقة لفظية نحوية دلالية.
2- علاقة نحوية دلالية.
3- علاقة لفظية دلالية.
4- علاقة دلالية.

أما صور هذه الأنماط، أي الأنواع التي تقع تحتها فهي على النحو التالي:

1-1 العلاقة اللفظية النحوية الدلالية:

وهي أقوى الأنماط الأربعة علاقة بين الجملتين؛ لاشتمالها على الروابط الثلاثة؛ الدلالية والنحوية واللفظية معًا. ويتمثل هذا النمط في:

- **جملة الحال المقترنة بالواو:** فقد اجتمع فيها الرابط النحوي المتضمن بالضرورة رابطًا دلاليًّا، وهو وظيفة الحال المبينة لصاحبها. أما الرابط اللفظي فهو الواو، التي جيء بها للربط بين جملة الحال والجملة قبلها. يقول عبد القاهر الجرجاني، مفرقًا بين معنى الحال الجملة إذا جاءت عارية عن الواو، ومعناها إذا جاءت مقترنة بها: "ولما كان المعنى (في جملة الحال المقترنة بالواو) على استئناف الإثبات (إثبات الخبر في الجملة الأولى(احتيج إلى ما يربط الجملة الثانية بالأولى، فجيء بالواو كما جيء بها في قولك "زيد منطلق وعمرو ذاهب ... وتسميتنا لها "واو الحال" لا يخرجها عن أن تكون مجتلبة لضم جملة إلى جملة"[1]. وقد جعل عبد القاهر الجرجاني هذه الواو في ربطها جملة الحال بما قبلها شبيهة بالفاء الرابطة للجزاء الذي ليس من شأنه أن يرتبط بجملة الشرط بنفسه نحو: إنْ تأتني فأنت مُكْرَمٌ[2].

وذكر السكاكي أن الأصل في جملة الحال أن تكون عارية عن الواو؛ "نظرًا إلى أن حكم الحال مع ذي الحال أبدًا نظير حكم الخبر مع المخبَر عنه ... والخبر ليس موضعًا لدخول الواو"[3]. ولما كان الإعراب إذا تناول شيئًا بدون الواو "كان ذلك دليلًا على تعلُّق هناك معنويٍّ، فذلك التعلق يكون مغنيًا عن تكلف تعلقٍ آخر". لما كان كذلك كانت الواو الداخلة على جملة الحال – وهي الحال إذا كانت جملة اسمية أو فعلية فعلها ماض أو مضارع – هي

(1) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 214.

(2) انظر: السابق، ص 214- 215. وذكر ابن هشام في المغني، ج2، ص 109 أن مما يحتاج إلى رابط الجملة الواقعة حالًا، ورابطها الواو أو الضمير أو كلاهما.

(3) السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر (ت 626هـ) محمد: مفتاح العلوم، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1411هـ = 1990م، ص 154.

رابط لفظي وليست أصلًا في هذه الوظيفة النحوية[1].

- **الجملة المقترنة بحرفين أحدهما للعطف والآخر زائد يؤدي معنى** كمعنى التوكيد أو الاستدراك: هذه الجمل اجتمعت فيها أيضًا الروابط الثلاثة، الرابط النحوي الدلالي المتضمن في وظيفة العطف، والرابط اللفظي الذي يؤدي دلالة مضافة، مثل: ولكنْ.

1-2 العلاقة النحوية الدلالية:

وهي العلاقة التي تتشكل من المعاني النحوية التي تؤديها الوظائف النحوية المختلفة، والتي تكتنف - بالضرورة - معنى دلاليًّا. وتتمثل هذه العلاقة النحوية الدلالية في نوعين من الوظائف النحوية:

أ. الوظائف النحوية التي تصل بين الجمل بعمل العامل(*): وتشمل: المفعول (المفعول به – المفعول لأجله) – الخبر المتعدد – الحال غير المقترنة بالواو – الحال المتعددة – النعت المتعدد.

ب. الوظائف النحوية التي تصل بين الجمل بالإتباع، وتشمل: التوكيد – البدل – عطف البيان – عطف النسق. والحروف التي تعطف الجمل هي: الواو – الفاء – ثم – بل – لكن – أو – إمَّا – أم[2].

---

(1) السكاكي: مفتاح العلوم، ص 154.

(*) استفدت هذا التقسيم للعلاقات النحوية بين الجمل إلى ناتج عن عمل العوامل وناتج عن الإتباع، من الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في كتابه "موجز البلاغة"، دار أضواء السلف للنشر والتوزيع، الرياض، ط الأولى، 1426هـ = 2005م، ص 24. وإن كان الشيخ قد جعل عطف النسق قسمًا مستقلًّا عن بقية التوابع؛ باعتبار الفارق بينهما، في أن التوكيد والبدل وعطف البيان هي - في الحقيقة - عين المتبوع في المعنى، في حين أن عطف النسق يكون المتعاطفان متغايرين، وإن كان يجمعها جميعًا أن قوة العامل قد انتهت دونها بأخذه من المعمولات ما يقتضيه معناه، فيُتوصل بالعامل إلى تلك الجمل – والمفردات - عن طريق الإتباع وعطف النسق. انظر: محمد الطاهر بن عاشور: موجز البلاغة، ص 24، والهامش رقم (1).

(2) أما حرفا العطف "حتى" ولا " فهما لعطف المفردات لا الجمل. قال ابن هشام في "حتى" أنها لا تعطف الجمل، وهو الصحيح؛ "لأن شرط معطوفها أن يكون جزءًا مما قبلها، ولا يتأتى ذلك إلا في المفردات". انظر: المغني، ج1، ص 114. وانظر في أن لا لعطف المفردات لا الجمل: عباس حسن: النحو الوافي، دار المعارف، الطبعة الثامنة، ج3، ص 618-619.

3-1 العلاقة اللفظية الدلالية:

وهي العلاقة التي تربط بين جملتين برابط لفظي هو أحد حروف الاستئناف، وهي: الواو – الفاء – حتى – بل – ثم – ألا[1]، مع رابط دلالي يُدرك من سياق النص، ومن سباق الجملتين ولحاقهما، كما يدرك من معنى حرف الاستئناف نفسه؛ إذ له معنى في نفسه وإن لم يكن له محل من الإعراب. وهذه العلاقة هي أحد نوعي العلاقة الاستئنافية بين الجمل، والنوع الآخر هو الاستئناف بلا رابط لفظي، أي بلا أداة استئناف، ويمثل النمط الرابع من أنماط العلاقات بين الجمل.

وقد ورد من حروف الاستئناف في الجمهرة: الواو – الفاء – حتى - بل. أما الواو والفاء الاستئنافيتان فتكونان أحيانًا عاطفتين لجملة كلام على جملة كلام أو مضمون كلام على مضمون كلام آخر، وهو ما يسميه العلماء "باب ضم جمل مسوقة لغرض إلى أخرى مسوقة لآخر، والمقصود بالعطف "المجموع" سواء أكانا خبرين أو خبرًا وإنشاءً[2]. وأما "حتى" الابتدائية للاستئناف – إذا جاءت قبل جملة – فهي تفيد معنى الغاية، أي أن ما بعدها غاية لما قبلها[3]، وهذا المعنى هو رابط دلالي يعرج بالمعنى إلى مسار آخر، كما سيأتي في النماذج. أما الحرف "بل" فقد ذكر ابن هشام أنه "حرف ابتداء لا عاطفة على الصحيح"[4]، وأنه إذا تلاها مفرد فهي عاطفة. لكن د. عبد الخالق عضيمة يرى أنها تعطف على الجمل[5]. وعلى كلا الرأيين يظل الرابط الدلالي للجملة بعدها بالجملة قبلها هو الإبطال أو الانتقال لغرض آخر،

(1) انظر: د. طارق المليجي ود. علاء رأفت: أنماط الجملة الاستئنافية ودلالتها في القرآن الكريم، دار النصر للطباعة والنشر، فرع جامعة القاهرة، 1423هـ = 2003م، ص 8-13. ولم ترد نماذج للاستئناف بـ "ألا" في نصوص الجمهرة موضع التحليل.

(2) انظر: د. محمد أبو موسى: دلالات التراكيب، ص 324.

(3) انظر: ابن هشام: المغني، ج1، ص 114، ود. عبد الخالق عضيمة: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ج 2، ص 115. وذكر ابن هشام أن علة عدم عطفها للجمل "أن شرط معطوفها أن يكون جزءًا مما قبلها، ولا يتأتى ذلك إلا في المفردات". المغني، ج 1، ن ص.

(4) انظر: ابن هشام: المغني، ج 1، ص 103.

(5) انظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ج2، ص 52.

وهو معنى "بل". أما "ثم" فلم ترد في النصوص موضع التحليل من الجمهرة إلا عاطفة، وأما "ألا" فليس لها نماذج في تلك النصوص.

4-1 العلاقات الدلالية:

وهي خاصة بالجمل المستأنفة (*). وتكون بين جملتين منفصلتين نحويًّا ولفظيًّا، خبريتين أو إنشائيتين أو مختلفتين، وهذه العلاقة لا تنفك عن الجملتين المتعاقبتين في النص الواحد، سواء أكانت العلاقة ظاهرة أم خفية، تحتاج إلى نظر وإعمال فكر كما يقول عبد القاهر الجرجاني. والعلاقات الدلالية بين هذه الجمل المستأنفة الخالية من أي رابط لفظي أو نحوي أكثر من أن تحصى؛ لأنها تتعدد بتعدد السياقات التي ترد فيها، وبحسب سباق الجملتين ولحاقهما.

ويمكن تقسيم الاستئناف إلى نوعين(*): الاستئناف البياني والاستئناف المحض.

(*) لا بد من التفريق بين الجملة الابتدائية والجملة الاستئنافية بأن الأولى هي المفتتح بها النطق فقط، وأن الثانية هي ابتداء لكلام بعد كلام، وليس كما قال ابن هشام (في المغني، ج 2، ص 46) بتساويهما، وأن إطلاق "الاستئنافية" أوضح؛ لأن الفعل "استأنف" يدل على ابتداء كلام بعد كلام سابق، أو منقطع عما قبله، فلا يقال مثلًا: استأنف كلامه بالحمد لله والصلاة على رسوله؛ بل يقال: ابتدأ كلامه بـ ...، ومن ثم فإن الجملة الابتدائية ينبغي أن تطلق على المفتتح بها النطق، أما المصدرة بالمبتدأ فهي ليست قسيمًا للابتدائية والمستأنفة؛ بل هي نوع في كل منهما، قسيم للجملة الفعلية. والمستأنفة ينبغي أن تطلق فقط على المنقطعة عما قبلها. وأهمية هذا التفريق أنه يصحح التوجيه النحوي لبعض الجمل المستأنفة. مثال ذلك توجيه الجملة بعد "ثم" في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام:64]؛ إذ يرى د. طارق المليجي ود. علاء رأفت أن "ثم" هنا حرف ابتداء، "أي يكون بعدها المبتدأ والخبر"؛ لأن اعتبار الجملة كذلك جعلهما يفسران معنى "ثم" على الابتداء، في حين أن اعتبارها مستأنفة بعد كلام يسمح بالنظر إلى وجه آخر للإعراب فيها، هو أنها معطوفة بـ "ثم" على مقول القول "الله ينجيكم منها"، وهو الصحيح. انظر: أنماط الجملة الاستئنافية ودلالاتها في القرآن الكريم، ص 13.

(*) قسم د. طارق المليجي ود. علاء رأفت أنماط الجملة الاستئنافية في القرآن الكريم إلى ثلاثة أنماط: استئنافية بحتة وبيانية وتعليلية. وقد انتفعت بتقسيمهما للنمطين الأولين، أما الثالث فلا أراه قسيمًا لهما لسببين؛ أولهما: أن معنى التعليل في الجملة يجعل لها وظيفة إعرابية هي المفعول لأجله. وقد ذكر د. حسني عبد الجليل في كتابه "إعراب النص"، ص 95 "أن الأصل في المفعول لأجله أن يكون مصدرًا مجرورًا باللام، وأن الجملة التي تصلح لها اللام هي جملة تعليلية في موضع نصب كالمفعول لأجله. والآخر: أن كثيرًا من النماذج التي ذكراها (ص 32 -33) ليس فيها معنى التعليل؛ بل لها مواقع إعرابية مختلفة بشكل واضح.

أولا: الاستئناف البياني:

ويسميه علماء البلاغة شبه كمال الاتصال، وفي التسمية إشارة واضحة إلى وجود صلة قوية – وإن لم تكن كاملة – بين الجملتين، كما أنه مفهوم بموجب معنى الاستئناف نفسه أن هذه الصلة هي صلة دلالية؛ إذ بينهما انقطاع نحوي. ويوضح د. محمد أبو موسى معنى الاستئناف البياني بأنه "استئناف جواب، وليس ابتداء كلام منقطع عن سابقه، كما يشعر بذلك لفظ الاستئناف. واستئناف الجواب هذا يتم به الكلام المنبثق من الجملة السابقة، التي هي كالأم لهذه الجملة، ولذلك تراها لا تستقل وإن طالت وتكاثرت فروعها وامتدت، فلا تكون محورًا وأصلًا في الكلام أو جذرًا من جذور معانيه ينبني عليه غيره"[1]. ويأتي هذا الاستئناف البياني في صورتين:

إحداهما: في حيز القول[2]، أو كما يسميها الشيخ الطاهر ابن عاشور "حكاية المحاورات"[3]. وتأتي في صورة: قال، قلت، قيل ... إلخ.

والأخرى: في حيز السؤال[4]، سواء أكان السؤال مذكورًا أم مقدرًا[*].

ثانيًا: الاستئناف المحض:

ويسمي علماء البلاغة بعض صوره "كمال الانقطاع"، وبعضها الآخر "شبه كمال الانقطاع". وهذا الاستئناف أغمض وأدق في إدراك العلاقة الدلالية بين جملتيه من

(1) د. محمد محمد أبو موسى: دلالات التراكيب، ص 312.

(2) انظر: د. طارق المليجي ود. علاء محمد رأفت: أنماط الجملة الاستئنافية ودلالاتها في القرآن الكريم، ص 30.

(3) انظر: محمد الطاهر بن عاشور: موجز البلاغة، ص 25.

(4) انظر: د. طارق المليجي ود. علاء رأفت: أنماط الجملة الاستئنافية، ص 25. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الجملة المستأنفة بالسؤال المقدر تأتي في حيز القول، كما في الأمثلة التي أوردها البلاغيون، وقد ذكرت هنا لأنها تقع في حيز السؤال، مع السؤال المذكور، الذي لم يذكر البلاغيون أن الجملة بعده من الاستئناف البياني أيضًا.

(*) أشار د. محمد أبو موسى إلى تفرقة عبد القاهر الجرجاني (في دلائل الإعجاز، ص 156) بين جواب السؤال المذكور وبين جواب السؤال المقدر، بأن الأول يكثر حذف الفعل في جوابه ويقتصر على الاسم وحده، بينما جواب السؤال المقدر لا بد من ذكر الفعل فيه. وأقول: إن علة هذا الفارق واضحة؛ لأن الفعل، أو المسند عمومًا قد سبق ذكره في السؤال المصرح به، أما في السؤال المقدر فإنه لا دليل عليه كما قال عبد القاهر؛ ومن ثم لزم ذكره.

الاستئناف البياني. وله عدة مواضع[1].

- **التعداد**: مثل قوله تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية:12-13].
- **التنبيه على عدم الإشراك في الحكم الإعرابي أو الحكم المعنوي**. مثال الأول: قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة:14-15].

وقول الشاعر:

وتظنُّ سلمى أنني أبغي بها بَدَلا، أراها في الضلال تَهيمُ

ومثال الثاني: مات فلان رحمه الله. والحكم المعنوي في الجملة الأولى هو الإخبار، فالعطف فيها جميعًا يؤدي إلى فساد المعنى، أو بتعبير البلاغيين سيؤدي إلى إيهام خلاف المقصود.

- **قصد إظهار انفصال الجمل واستقلالها**: مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ۝١٥ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان:15-16].

والفارق بين هذه الصورة وصورة الفصل لإرادة عدم التشريك في الحكم الإعرابي أو المعنوي؛ أن ضابط عدم التشريك هو فساد المعنى مع العطف.

- **الاستطراد**: وهو خروج الشاعر من معنى يكون فيه إلى معنى غيره؛ لمناسبة بينهما، ثم يرجع إلى الأول ويقطع الكلام[2]، وقد أضفت هذا الموضع إلى مواضع الفصل؛ لأن المظهر النحوي لهذا الفصل جاء في القطع والاستئناف في سياق الجملة الطويلة من نصوص الجمهرة، ثم يعود الشاعر لسياق الجملة الطويلة. وهذا الاستطراد من ناحية أخرى هو طريقة من طرق بناء الدلالات الفرعية والمتفرعة - كما سيأتي في فصل

(1) ملخص من: موجز البلاغة، ص 25، 27، 28، والشيخ أحمد الدمنهوري: شرح حلية اللب المصون على الجوهر المكنون لسيدي عبد الرحمن الأخضري، مكتبة الحلبي، الطبعة الثانية، 1370هـ = 1950م، ص 68 – 69.

(2) انظر: د. بدوي طبانة: معجم البلاغة العربية، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض: 1402هـ = 1982م. ج 1، ص 458. وقد أورد حدَّ صاحب الإيضاح له بأنه: "الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به، لم يقصد بذكر الأول التوصل إلى الثاني". انظر: ن. ص.

الدلالة. ويختلف هذا القطع والاستئناف عن القطع والاستئناف البياني الذي هو (يحمي) عنده الكلام، والذي سماه عبد القاهر القطع والاستئناف بأن هذا الاستطراد يكون لمعنى متفرع أو فرعي، ولا يتجاوز الجملتين على الأكثر، ويكون بحذف المبتدأ أو بجملة فعلية، أما البياني فيبدأ معنى جزئيًّا، ولا يعود للمعنى الأول، وتطول جملته طولًا ما، ولا يكون بناؤه النحوي إلا بالجملة المحذوفة المبتدأ.

وتجدر الإشارة – في هذا السياق – إلى أن كمال الانقطاع بين الجملتين، والذي وصف به البلاغيون الفصل لاختلاف الجملتين خبرًا وإنشاء، أو لفقدان الجامع بينهما، لا يعني الانفصال الدلالي؛ إذ بينهما من الروابط الدلالية والنحوية أحيانًا مثل ما بين الجملتين المتفقتين إذا جاءتا منفصلتين؛ فالوقوف عند علة الفصل أنها لاختلافها خبرًا وإنشاءً "لا يحلل الأسلوب، ولا يقف على ما بينه من روابط، مع أننا نجد الروابط متينة وحية بين هاتين الجملتين"[1].

2- الفصل والوصل البلاغي:

يلتقي هذا التصنيف لأنماط العلاقات بين الجملتين مع مبحث الفصل والوصل في علم البلاغة العربية، وهو المبحث السابع من مباحث علم المعاني الثمانية، والذي يتناول – كما هو معروف – مسائل العطف بالواو وتركه بين جملتين، الأولى منهما ليس لها محل من الإعراب.

وقد حدد البلاغيون العرب مواضع الفصل والوصل بين الجمل على النحو التالي:

أولًا: وجوب الفصل في المواضع التالية:

- إذا نزلت الجملة الثانية من الأولى منزلة البدل أو التوكيد أو عطف البيان؛ لأنها حينئذ تكون عين الأولى؛ إما في المعنى كجملة البدل، أو في محصل الفائدة كالتوكيد وعطف البيان. ويسمى كمال الاتصال.
- إذا اختلفت الجملتان خبرًا وإنشاء؛ لأن الخبر لا يعطف على الإنشاء، والعكس. وعند عدم وجود جامع بين الجملتين، أي عدم وجود مناسبة بينهما في المعنى أو السياق.

(1) انظر: د. محمد محمد أبو موسى: دلالات التراكيب، ص 320، وانظر أيضًا ص 297.

ويسمى كمال الانقطاع.

- إذا أوهم العطف خلاف المعنى المراد. ويسمى شبه كمال انقطاع.

- عند إرادة عدم تشريك الثانية مع الأولى في الحكم[1].

ثانيًا: وجوب الوصل: ويكون[2]:

- حين إرادة تشريك الجملة الثانية مع الأولى في الحكم الإعرابي أو المعنوي. ويكون ذلك حين تتفقان خبرًا وإنشاءً، لفظًا ومعنى، أو معنى، مع وجود الجامع أو المناسبة بينهما.

- إذا أوهم الفصل خلاف المقصود.

والجدول التالي يوضح الفارق بين مواضع الفصل والوصل في التراث البلاغي وبين مجمل علاقات الجمل:

---

(1) جمع الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بين هذا الموضع من مواضع الفصل وبين سابقه بأن كليهما الفصل فيه للتنبيه على عدم مشاركة الثانية للأولى، لا في الحكم الإعرابي، مثل قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [البقرة: 14-15]، ولا في الحكم المعنوي، مثل الإخبار في قوله: مات فلان رحمه الله، ومثل القصر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ٧ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ [الرعد:8]. انظر: موجز البلاغة، ص 27-28.

وذكر الشيخ علي صقر (في: شرك الآمل لصيد شوارد المسائل في المعاني والبيان والبديع. مطبعة الحلبي، 1357هـ = 1938م، ص 29-30) أن عدم إرادة تشريك الثانية مع الأولى في الحكم في مثل قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [البقرة: 14-15] يسمى "التوسط بين الكمالين مع قيام مانع"، في حين هي من شبه كمال الانقطاع، كما ذكر د. أبو موسى في دلالات التراكيب، ص 316، أن البلاغيين أشاروا إلى أن أمثلة شبه كمال الانقطاع يمكن أن تكون من شبه كمال الاتصال (إجابة سؤال مقدر)؛ ومن ثم يبقى شبه كمال الانقطاع بابًا فارغًا من الشواهد، وهذا ما يرتضيه.

(2) ملخص من: الشيخ علي صقر: شرك الآمل، ص 28- 31. محمد الطاهر بن عاشور عاشور: موجز البلاغة، ص 24- 29. الشيخ أحمد الدمنهوري، ص 68- 70. عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، 1417هـ = 1997م، ج2، ص 56، 73.

مجمل العلاقات بين الجمل	الفصل والوصل
1- العلاقات اللفظية النحوية الدلالية:	
- الواو المقترنة بجملة الحال.	- اقتران جملة الحال بالواو.
- حرف الاستئناف المقترن بواو العطف والجملة المعطوفة.	—
2- العلاقات النحوية الدلالية:	
- عمل العامل: المفعولية، الخبر، الحال، النعت المتعدد.	—
- الاتباع.	- الفصل لكمال الاتصال.
- عطف النسق.	- الوصل: عطف الجملة بالواو على الجملة التي لها محل من الإعراب والتي ليس لها محل من الإعراب.
3- العلاقات اللفظية الدلالية:	
- الاستئناف بالحروف.	—
4- العلاقات الدلالية:	
- الاستئناف بلا حروف.	- الفصل بين الجملتين.

بالنظر إلى هذا الجدول يلاحظ ما يلي:

1- منظور مجمل العلاقات بين الجمل أشمل من الفصل والوصل البلاغي؛ باعتبار شمول بناء النص الشعري لكل أنماط وصور العلاقات بين الجمل، لا المعطوفة بالواو والمفصولة فقط.

2- ما ذكره البلاغيون في مبحث الفصل والوصل هو الأحوال التي تقتضي الفصل والوصل بين الجملتين؛ ولذلك نجد أن هذه "الأحوال" التي يكون لها الفصل والوصل تكون لـ:

المتكلم: مثل كمال الانقطاع لطروء حديث غير ما كان فيه المتكلم، وهو موضع للفصل.

المخاطب: مثل الفصل حتى لا يوهم العطف خلاف المقصود والعكس. وفي الاستئناف البياني أو ما يسمى بشبه كمال الاتصال.

النص: مثل كمال الانقطاع للخبرية والإنشائية ولعدم وجود الجامع، وكما في الوصل لإرادة التشريك في الحكم.

أما أنماط وصور العلاقات بين الجملتين فهي مقتضيات هذه الأحوال.

3- إذا كان النحاة قد تناولوا أحكام العطف ولم يتكلموا في أحكام ترك العطف، كما ذكر محمد الطاهر ابن عاشور؛ معللا بذلك مجيء مبحث الفصل والوصل ضمن مسائل علم البلاغة وهو أعلق بعلم النحو[1] - فإن البلاغيين لم يستوفوا القول أيضًا في العلاقات الدلالية التي تبقى رابطًا بين الجمل بعد انقطاع وظيفة العطف النحوية بينهما؛ باعتبار هذه الدلالات لبنات وعناصر بنائية في النص[2]. ومن ثم يبقى نمط العلاقات اللفظية الدلالية ونمط العلاقات الدلالية بين الجمل مواضع خصبة - ما تزال - للنظر النقدي في فهم العلاقات الدلالية وطرق بنائها في النص.

4- اعتبار وجود علاقة دلالية ظاهرة أو خفية بين كل جملتين متعاقبتين أصلًا في تحليل بناء الدلالة يفتح الباب للنظر في الأحكام المعنوية التي تشارك فيها الجملة المعطوفة بالواو الجملةَ التي لا محل لها من الإعراب، والتي كانت سبب كلام عبد القاهر الجرجاني في مسألة الفصل والوصل بين الجمل.

ويلاحظ أن جهود البلاغيين القدماء توفرت على تنظير مسائل الفصل والوصل وضبطها، ولم تعمق النظر في بحث هذه الأحكام المعنوية. وهو موضع خصب أيضًا للنظر النقدي كالسابق. ومما يؤكد ثراء هذه المواضع من بحث العلاقات الدلالية بين الجمل إشارة البلاغيين إلى

(1) انظر: موجز البلاغة، ص 24- 25 هامش 1.

(2) أشار د. أبو موسى إلى شيء من هذا في حديثه عن شبه كمال الانقطاع، وأن الوصل في هذه الجمل يلبس المعنى، فذكر أن كلام البلاغيين في هذه الشواهد "ليس إلا تفسيرًا لسقوط الواو، وليس فيه كشف عن علاقة هذه الجملة بالتي قبلها". انظر: دلالات التراكيب، ص 316.

صعوبة مبحث الفصل والوصل؛ لأنه بحث في هذه العلاقات أو في المعنى، وهو ذروة سنام تحليل النص.

3- صور العلاقات بين الجملتين في نصوص الجمهرة:

سبقت الإشارة إلى أن العلاقات بين الجملتين لا تخرج إجمالًا عن أربعة: اتصال لفظي نحوي دلالي - اتصال نحوي دلالي - اتصال لفظي دلالي – اتصال دلالي. وأن الانفصال النحوي اللفظي الدلالي يكاد لا يوجد في نصوص الجمهرة. وفيما يلي عرض لنماذج شعرية من نصوص الجمهرة تحققت فيها صور هذه الأنماط من العلاقات:

3-1 العلاقة اللفظية النحوية الدلالية:

وتكون بين الجملتين بينهما رابط لفظي هو حرف من حروف المعاني غير عامل، ورابط نحوي هو وظيفة العطف مع رابط دلالي متضمن في الوظيفة النحوية بالضرورة. وقد جاءت هذه العلاقة في صورتين؛ الأولى: اجتماع واو العطف مع جملة الحال. والثانية: اجتماع وظيفة العطف – وأداتها الواو –مع حرف من حروف المعاني.

ومن نماذج اجتماع واو العطف مع جملة الحال قول الشماخ بن ضرار الذبياني في مشوبته:

16- وصَدَّتْ صُدودًا عن ذَريعةِ عثْلَبٍ ولا بنيْ عِياذٍ في الصدور حَزَائِزُ[1]

جاءت الجملة الثانية "ولا بني عِياذٍ في الصدور حزَائِزُ" حالًا من فاعل "صدت" وهو الأتن الوحشية وحمارها، والمعنى: ولا بني عِياذٍ في الصدور حِزَائِزُ منها؛ لأنها استطاعت بقيادة حمارها الفذ النبيل، أن تنجو من بائقة الصيادين أيضًا، كما نجا بها من بوائق سابقة ولاحقة، وخلفتهما يغلي صدراهما غيظًا من فواتها.

وقد رُبطت جملة الحال "ولا بني عياذ" بجملة "وصدت ..." قبلها بهذا الرابط الدلالي الذي أوجدته الوظيفة النحوية. كما رُبطت أيضًا بالرابط اللفظي هنا، وهو واو العطف.

---

(1) د. الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 828. و"الذريعة: جملٌ يختل به الصيدُ، يمشي الصياد إلى جنبه فيستتر به ويرمي الصيد إذا أمكنه، وذلك الجمل يُسَيَّبُ أولًا مع الوحش حتى يألفه". وعثلب: اسم رجل. وابنا عياذ: قانصان مشهوران. والحزائز: جمع حزازة وهي الغيظ في الصدر. انظر: ن ص هامش 1.

ومن نماذج اجتماع أداة الاستئناف مع الوظيفة النحوية العطف، قول أحيحة بن الجلاح في مذهبته[1]:

2. ولـــو أنِّي أشـــا لنعِمـــتُ بـــالًا وبـــاكرني صَـــبوحٌ أو نَـــشيلُ
3. وَلاعَبَنـــي عَـــلى الأَنـــماطِ لُعـــسٌ عَـــلى أفـــواهِهِنَّ الزَنجَبيـــلُ
4. ولكنـــيِّ جَعلـــت إزاي مـــالي فأُقلِـــلُ بعـــد ذلـــك أو أُنيـــلُ[2]

فجملة "ولكنيِّ جُعلتُ ..." مربوطة بالجملة قبلها "ولو أنِّي أشا ..." بثلاثة روابط: لفظي: هو حرف الاستدراك والتوكيد "لكنَّ" الذي رفع توهم اختيار الشاعر للتنعم عن قيامه بأمر ماله[3] (*). نحوي دلالي: بواو العطف التي تعطف جملة "لكني جُعلت ..." على جملة "لو أني أشا ..." المعطوفة بدورها على الجملة الابتدائية في أول النص "لهوت عن الصبا"، والتي شاركتها في الحكم المعنوي – دون الإعراب؛ لأنها لا محل لها منه – وهو الابتداء بالانشغال عن اللهو، وأنه أصل ثابت في طبعه لا مستأنف بعد أن كان لهوٌ منه، فعطفت الجملة "لكنيِّ جعلت" على نفس هذا الحكم المعنوي. ويؤكد هذا المعنى المخالفةُ الواقعة بين المعنى قبل "لكنَّ" والمعنى بعدها، ومن توكيد هذه المخالفة المستمدة من معنى "لكنَّ".

(1) أحيحة بن الجلاح: شاعر جاهلي، كان سيد الأوس. انظر: د. الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 657.

(2) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 658.

(3) قال ابن هشام في المغني ج1 ص 225 إن معنى الاستدراك في "لكنَّ" "أن تنسب لما بعدها حكمًا مخالفًا لحكم ما قبلها"، وأنه "رفع ما يتوهم ثبوته".

(*) لكنَّ ولكنْ الخفيفة كلاهما حرف استدراك، يأتي بعد الجملة في الإيجاب والنفي، أي الجملة قبلها يجوز أن تكون مثبتة أو منفية، والثانية منهما تعطف المفرد بعد النفي. وقد تأتي معهما الواو فتكون عاطفة، ويكون معناهما معها للاستدراك فقط. والخفيفة تعطف جملة على جملة إذا جاءت من غير الواو، أما المشددة فتعمل عمل "إنَّ" إذا جاءت من غير واو وتكون للاستدراك. ولم تأت في القرآن الكريم إلا بالواو. انظر: د. عبد الخالق عضيمة: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ج2 ص 488-489.

ومن نماذج هذه العلاقة أيضًا قول مالك بن الريب التميمي في رثائه نفسه[1]:

12. تَـذَكّرْتُ مـن يَبْكـي عـليّ، فلـمْ أَجِـدْ سِـوَى الـسَيْفِ والـرّمحِ الرُّدَينـيّ باكيـا
13. وَأَشْـــقَرَ خِنْذِيـــذٍ يَجُـــرّ عِنَانَـــهُ إلى المـــاء، لم يـــتْرُكْ لَـــهُ الـــدهْرُ ســـاقيا
14. ولَكِـــنْ بِـــأَطْرَافِ الـــسُّمَيْنَةِ نِـــسْوَةٌ عَزيـــزٌ عَلَـــيْهِنّ، العـــشيّةَ، مـــا بيـــا[2]

فجملة "ولكنْ بأطراف السمينة نسوة" مرتبطة بجملة "فلم أجدْ ..." – المعطوفة بالفاء على جملة "تذكرتُ ..." – بثلاثة روابط أنتجت ثلاث علاقات:

الأولى: الرابط اللفظي: وهو حرف الاستدراك "لكنْ" الذي خالف المعنى بعده – وهو وجود نسوة بالسمينة يأسيْنَ لما أصابه – المعنى قبله وهو انتفاء وجود من يبكي عليه غير سيفه ورمحه وفرسه.

الثانية: الرابط النحوي: وهو عطف جملة "ولكنْ بأطراف السمينة نسوة" على جملة "فلم أجد" بحرف الواو، وقد شاركتها في الحكم المعنوي، وهو إثبات وجود من يتذكره بعد النفي في الجملة قبلها، وهذا الحكم مستفاد من معنى "الاستدراك" في "لكن".

الثالثة: الرابط الدلالي: والذي شكلته العلاقة النحوية بين الجملتين مع الاستدراك على معنى الأولى منها، فكانت العلاقة الدلالية هي اشتراك النسوة مع السيف والرمح والفرس في تذكره.

3-2 العلاقة النحوية الدلالية:

وتشمل كما سبق: الجمل الواقعة تحت تأثير العامل – جمل الاتباع – جمل عطف النسق.

---

(1) مالك بن الريب التميمي: شاعر إسلامي أموي، من الظرفاء الفتاك، نشأ في بادية البصرة، هجا الحجاج فطلبه، فهرب وقطع الطريق مدة، ثم استصحبه سعيد بن عثمان في غزو خراسان. انظر: د. الهاشمي: الجمهرة، ج 2، ص 759.

(2) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 761. والخنذيذ: الطويل من الخيل. انظر: هامش (5) ن ص.

أ- الجمل المتصلة نحويًّا بما قبلها بتأثير العامل:

- **جملة الحال:** ولها عدة صور في نصوص الجمهرة.

- **منها جملة الحال المفردة:** مثل قول القُطامِيُّ في مشوبته واصفًا الدِّمن التي غيرتها الأعصر الأُول[1]:

3- صافتْ تَمَعَّجُ أعناقُ السُّيول به من باكرٍ سَبطٍ أو رائح يَبِلُ[2].

فجملة "تمعج أعناق السيول" حال من فاعل "صافت"، يصف انهمار السيول الصائفة، تتعرج مساربها بين بقايا الآثار من هذه الديار.

- **ومنها الحال الجملة الاسمية:** مثلما في قول الشماخ بن ضرار الذبياني في مشوبته، يصف مرحلة من مراحل رحلة الحمار الفذ النبيل بأتنه، عابرًا بها طريقًا وعرة خشنة، حتى أوردها الماء، فنهلت منه على عجل تخوفًا:

46- فأوردهُنَّ المَوْرَ، موْرَ حمامةٍ على كل إجْرِيَّائها هو رائز[3].

فجملة "على كل إجريائها هو رائز" جملة حال من فاعل "أوردهن"، تصف قيادة هذا الحمار الوحشي لأتنه قيادة رائدةً لمواطن البقاء؛ مدافعةً عنها ضد بوائق الفناء، مسلحة بخبرة عميقة بطبائع مَنْ تقود، تهيؤها لرشادة هذه القيادة.

- **ومنها الحال المتعددة:** مثل قول بشر بن أبي خازم الأسدي في مفتتح جمهرته[4]:

---

(1) القطامي، عُمير بن شُييم: شاعر إسلامي مقل مجيد، كان نصرانيًّا فأسلم، وهو ابن أخت الأخطل الشاعر النصراني. انظر: د. الهاشمي: الجمهرة، ج 2، ص 803.

(2) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 804. وصافت: هطلت صيفًا، وتمعَّج: تلوى. وأعناق السيول أوائلها. والباكر السبط: السحاب الممطر في البكور، والرائح الذي يبل: السحاب الممطر بشدة عشيًّا. انظر: ن ص هامش 2.

(3) هذه هي رواية الديوان للبيت، آثرتها على رواية الهاشمي: وروَّحها في المور مور حمامة على كل إجريائهنَّ هْوَ آبز؛ لثقل نطق الهاء ساكنة في "هو" بعد النون المشددة في "إجريائهن". وروحها أو أراحها من الترويح أو من الإراحة. والمور: الطريق، ومور حمامة ماء لبني سعد بن بكر بن هوازن، والإجرياء: العادة والوجه الذي تأخذ فيه وتجري عليه. والرائز: المختبر المجرب. انظر: الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 835، هامش 4.

(4) بشر بن أبي خازم الأسدي شاعر فارس فحل جاهلي قديم. عده ابن سلام في الطبقة الثانية من فحول الجاهلية. انظر: د. الهاشمي: الجمهرة ج1 ص507.

1- لمـــن الـــديارُ غَـــشيتُها بـــالأَنْعُمِ تبـــدو معالمُهـــا كَلَـــوْنِ الأرقَـــمِ

2- لعبـتْ بهـا ريـحُ الـصبا فَتَنكَّـرَتْ إلا بقيَّـــــةُ نُؤْيِهـــــا المتهـــــدِّم[1]

فالجمل الثلاثة "غشيتُها، تبدو معالمها، لعبت بها ريح الصبا" ثلاثة أحوال متعددة لصاحبها "الديار" المبتدأ المؤخر في الجملة الابتدائية. تصف أحوال الديار؛ إذ أتاها الشاعر بالأنعم، فبدت آثارها الباقيات الدالة عليها كلون الحية المنقط بالسواد والبياض، بعد أن غيرتها ريح الصبا المتعاقبة عليها. والأحوال الثلاثة يربطها بجملة الابتداء ضمير المفعول به في الأولى وضمير الإضافة في الثانية، والضمير المجرور في الثالثة، العائدة جميعًا على الديار، فتتابع الأحوال يصف إتيانه الديار، وكيف وجدها، وسبب الحال التي وجدها عليها.

ومنها الحال المركبة: وهي جملتان حاليتان صاحب الثانية منهما عنصر من عناصر الأولى؛ ومن ثم فهي أكثر إحكامًا في التركيب من صور الأحوال السابقة. من نماذج هذا البناء المحكم للجملتين قول ذي الرمَّة في ملحمته، يصف ذروة صراع الثور الوحشي مع كلاب الصائد بعد أن انتفضت نفسُه خزيًا مشوبًا بالغضب أن يفر من ميدان الصراع:

92- فكفَّ مِنْ غرْبِهِ والغُضْفُ يسمعها خلف السَّبيبِ من الإجهاد تَنْتَحِبُ[2]

فالجملتان "والغضف يسمعها ... تنتحب" جملتان حاليتان؛ تصور الأولى حال الثور في عَدْوه إذ يقرع أذنيه صوت انتحاب الغضف خلف ذَنَبه، أي أنها كانت على مقربة شديدة منه، وجملة الحال الثانية تصف الغضف نفسها وهي تنتحب، وقد اقتربت جدًّا من الثور، حتى إنها أصبحت خلف ذيله مباشرة، وقد نال منها الجهد من طول الصراع. فصاحب الحال في الجملة الأولى هو فاعل "كفَّ"، ويربط جملة الحال بجملة "كفَّ" الواو وضمير الفاعل في "يسمعها"، في حين أن جملة الحال الثانية "تنتحب" صاحبها "الغضف"، وهي عنصر المبتدأ في

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 508. والأنعم: موضع، والأرقم: الحية المنقط لونها. والنؤي: حفيرة تحفر حول الخباء؛ لئلا يتسرب الماء إليه، أو حاجز يمنع الماء من دخول البيت. انظر: ص 507 هامش 4،2، ص 508 هامش 1.

(2) الهاشمي: السابق، ص 96. والغرب: حدة العدو، والغُضْفُ: الكلاب المسترخية الآذان، والسبيب: الذنب، وتنتحب: تعوي. انظر: السابق، ن ص، هامش 2.

جملة الحال الأولى، ويربطها بجملة الحال قبلها ضمير الفاعل في "ينتحب" الذي يعود على الغضف.

جملة المفعول به: ومن صوره: جملة مقول القول - جملة جواب النداء – جملة جواب الدعاء – جملة جواب القسم إذا كان القسم فعلًا(*).

من نماذج جملة مقول القول التي سدت مسد المفعول به قول طرفة بن العبد في سمطه بعد أن استفرغ وصف ناقته:

42- عَلى مِثلِها أَمضي إِذا قالَ صاحِبي أَلا لَيتَني أَفديكَ مِنها وَأَفتَدي(1)

فجملة "أَلا لَيتَني أَفديكَ مِنها" بعد جملة "قال صاحبي" سدت مسد المفعول به.

(*) يمكن التفريق داخل دائرة الإنشاء الطلبي التي حددها البلاغيون أنها: الأمر – النهي – الدعاء – النداء – القسم، (وهو من الإنشاء غير الطلبي كما ذكر الطاهر بن عاشور)، والتي قد تأتي صيغتها من جملتين، بين نوعين منها من حيث جملة جوابه: النوع الأول: طلب له جزاء، ويضم الأمر والنهي، وجوابهما مجزوم (ذاكر تنجح – لا تعص الله تدخل الجنة). النوع الثاني: طلب جوابه يسد مسد المفعول به، ويضم الدعاء والنداء والقسم إذا كان فعلًا (ربنا اغفر لنا ذنوبنا - يا محمد، أقبل – أقسم لأدافعن عن الحق). وقد ذكر د. عبد الخالق عضيمة أن الأفعال المئولة بمعنى القول مثل: وصى – نادى – تأذن - شهد – دَعَوُا – عاهد، يكون ما بعدها إما معمولًا لها؛ لأنها بمعناه، أو معمولًا لقول مقدر بعدها. [انظر: د. عبد الخالق عضيمة: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ج1، ص 484، ج11 ص 272- 273.]. وعدَّ د. حسني عبد الجليل جملة جواب القسم في موضع الخبر، وهي جملة عدَّها النحويون من الجمل التي لا محل لها من الإعراب. وقد عدَّها د. حسني كذلك؛ باعتبارها جملة تامة في موضعها، متممة للمعنى، فهي عمدة أو نظير للعمدة؛ ومن ثم لها محل من الإعراب. [د. حسني عبد الجليل يوسف: إعراب النص، دراسة في إعراب الجمل التي لا محل لها من الإعراب، ص 32]، لكني أرى أن جملة جواب القسم الذي جاء فعلًا، وجملة النداء، كلاهما في موقع المفعول به وليس في موضع خبر؛ لأن مضمون كل من القسم والنداء هو القول. ويكون الفعل في جملة القسم هو العامل في جملة الجواب، وتكون أداة النداء المئولة بفعل هي العامل في جملة النداء.

ويلاحظ أن د. عضيمة لم يذكر جملة جواب النداء في الجمل التي ليس لها محل من الإعراب مثلما فعل في جملة القسم. كما أنه اكتفى بذكر نماذج لها، ولم يذكر حكمها الإعرابي حين تكلم عن "ما الذي ولي المنادي في القرآن". [انظر: د. عبد الخالق عضيمة: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ج3، ص 532- 534]، على الرغم من أنه ذكر الفعل "نادى" ضمن الأفعال التي أجريت مجرى القول. ويلاحظ أنه أيضًا في قوله تعالى: ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [يونس:22]، أن القسم محذوف، وأن هذا القسم وما بعده محكي بالقول أي قائلين، أو أجرى "دعوا" مجرى "قالوا"؛ لأنه نوع من القول [انظر: د. عبد الخالق عضيمة: السابق ج11 ص 273]، وهذا يعني أن جملتي النداء والقسم عنده في موقع المفعول به.

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 343.

ويقول عروة بن الورد، ناقلًا عتاب زوجته له على كثرة غاراته وتعريض نفسه للمهالك:

5- تَقولُ لَكَ الوَيلاتُ هَل أَنتَ تارِكٌ ضُبُوءًا بِرَجلٍ تارَةً وَبِمِنسَرِ[1]

فالجملة الإنشائية "لك الويلات" سدت مسد المفعول به لـ "تقول"، ثم شاركتها الجملة الإنشائية الثانية "هل أنت تارك ..." في هذا الحكم الإعرابي، لكن بلا عاطف[2].

ومن صور جملة مقول القول التي سدت مسد المفعول به جملة جواب النداء في قول مالك بن الريب التميمي:

44- فَيا راكِبًا إِمّا عَرَضتَ فَبَلِّغَنْ بني مالك والرَّيبِ أَلا تَلاقِيا[3]

فالجملة الشرطية "إما عرضت فبلغن ..." - وهي جملة جواب النداء - سدت مسد المفعول به لأداة النداء "يا" المئولة بالفعل "أنادي"، والذي هو مُجْرًى مجرى القول. فهذه العلاقة النحوية بين الجملتين هي الصورة اللفظية للعلاقة الدلالية بينهما.

ومثله أيضًا قول طرفة بن العبد في سمطه، خالطًا فخره بنفسه وتعداد مآثره برؤيته للحياة والموت، التي لا تنفك حتى عن هذا الموطن المفعم بالحياة:

58- ألا أيّهذا اللاّئِمي أَحْضُرَ الوَغَى وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذاتِ هل أنتَ مُخلِدِي؟[4]

جملة الاستفهام "هل أنت مخلدي" في محل المفعول به لأداة النداء "أيُّ" المئولة بفعل أجري مجرى القول.

- جملة جواب القسم إذا كان القسم فعلًا: وهي من صور جملة مقول القول التي سدت مسد المفعول به أيضًا، مثل قول طرفة بن العبد في سمطه واصفًا مِرفَقَيْ ناقته

(1) الهاشمي: الجمهرة. ج1، ص 570. والضبوء: التخفي للوحوش. والرَّجْل والرَّجَّالة: الجماعة. والمِنْسِر: من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين. انظر هامش رقم 3.

(2) ذكر د. محمد أبو موسى أن التشريك في المحل الإعرابي قد يكون بلا عاطف؛ لأن قولهم "إذا أردت التشريك عطفت" ليس معناه لزوم العطف، بل معناه إذا لم ترد التشريك لا تعطف؛ لئلا يوهم العطف خلاف ما تريد. انظر: دلالات التراكيب، ص 284- 285.

(3) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 766.

(4) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 438.

المستقيمين المفتولين في إحكام:

22- كقنطرةِ الرُّوميِّ أقْسَمَ ربُّها لتُكْتَنَفَنْ حتى تُشادَ بقَرْمَد[1]

فقد شبهها بالجسر الذي أقسم صاحبه، وربما قصد صانعه؛ ليحيطه من كل جانب بالحجارة الصلبة حتى يكون بناؤه أحكم. فجملة "لتكتنفن" هي جواب القسم للفعل، أجريت مجرى القول. فاتصلت الجملة بعدها بها اتصالًا نحويًّا بالمفعولية، ودلاليًّا بإجابة القسم. ويمكن أن تكون الجملة مقول قول محذوف تقديره "قائلًا".

- ومثل قوله أيضًا في سمطه منافحًا عن مناقبه، ومنها نشاطه وذكاؤه، ثم شجاعته ضد ظلم ابن عمه، الذي يسأله الشكر على ما لم يفعل:

88- فآليتُ لا ينفكُّ كَشْحي بِطانةً لِعَضْبٍ رقيقِ الشفرتين مُهنَّدِ[2]

جملة "لا ينفك كشحي بِطانةً" هي جواب قسم للفعل "آليت"، ترتبط بها دلاليًّا؛ لأنها المقسم عليه، أن لا يفارق سيفه القاطع رقيق الشفرتين متقن الصنعة، وترتبط بها نحويًّا؛ لأنها سدت مسد المفعول به للفعل "آليت" الذي أجري مجرى القول(*).

- الجملة التي سدت مسد المفعول لأجله: وهي من الجمل الواقعة تحت تأثير العامل النحوي للجملة قبلها، وارتبطت هي بها عن طريق امتداد هذا التأثير إليها، فكانت العلاقة الدلالية بينها وبين الجملة قبلها علاقة السببية، والتي بنيت بها مع ما قبلها بناء نحويًّا، هو وظيفة المفعول لأجله.

من نماذج هذا البناء النحوي الدلالي قول مالك بن الريب في مرثيته السابقة:

6- أَجَبْتُ الهَوَى لمّا دَعَاني بِزَفْرَةٍ تَقَنّعْتُ مِنْهَا، أنْ أُلامَ، ردائيا[3]

---

(1) الهاشمي: السابق، ج1، ص 427. والقنطرة: الجسر، وربُّها: صاحبها. وهو الرومي. ولتكتنفن: يحاط بها وتؤخذ من كل ناحية حتى تُرفع وتشاد. والقرمد: الحجارة الصلبة. انظر: السابق. ن ص. والهامش 2 منها.

(2) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 447. وآليت: حلفت، والكشح: الجنب أو الخاصرة، والبطانة: خلاف الظهارة (أي جانب السيف مما يلي البطن)، والمهنَّد: المنسوب للهند (أي المتقن الصنعة). انظر ص 447 هامش 1.

(*) لم أجد نماذج لجملة الدعاء التي تسد مسد المفعول به.

(3) الهاشمي: السابق، ج2، ص 760.

جملة "أن ألام" مرتبطة ارتباط العلة بجملة "تقنعت منها"؛ فهي مئولة بمصدر مفعول لأجله، يبين سبب الفعل "تقنعت".

- جمل الخبر المتعدد والنعت المتعدد: وتكفتي الدراسة بما ورد منها في مبحث بناء الجملة الطويلة؛ إذ فيه كفاية للتمثيل على هذا النوع من الجمل التي ترتبط بالجملة قبلها بتأثير العامل النحوي.

ب- الجمل المتصلة بما قبلها:

علاقة الإتباع: وهي من صور العلاقة النحوية الدلالية بين الجملتين، وتشمل الجملة التي تأتي بعد الجملة، فتكون توكيدًا لها، أو بدلًا منها، أو معطوفة عليها عطف بيان. وهي جميعًا مما يصف الجملة أو النص إذا امتدت إلى عدد من جمله بوصف الإطناب[1]. والفارق الدلالي بين هذه العلاقات النحوية الثلاثة هو أن في التوكيد تقوية للمعاني وتقريرًا لها، وفي البيان كشف للمعنى بعد غموض كان ملفوفًا به الكلام، وفي المنزلة (منزلة البدل) تفصيل وتنصيص[2].

---

(1) من بين وسائل الإطناب التي ذكرها البلاغيون: الإيضاح بعد اللبس، وهو من عطف البيان – التذييل، وهو تعقيب جملة بجملة تحتوي على معناها للتأكيد – التكرير، وهو من التوكيد اللفظي – الإيغال، وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم الكلام بدونها (مثل: "... اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون")، وهو من التوكيد المعنوي – عطف العام على الخاص والعكس، وهو من البدل. انظر: الشيخ أحمد الدمنهوري: شرحه على "الجوهر المكنون في الثلاثة الفنون" للشيخ عبد الرحمن الأخضري، ص 72- 73. والشيخ محمد الطاهر بن عاشور: موجز البلاغة، ص 30. وذكر الشيخ أن "تعلق هذا النوع (يعني الإيجاز والإطناب) بفن البلاغة ضعيف، بل هو من مباحث صناعة الإنشاء". ولعله اتضح من مباحث هذا الفصل الثلاثة أنه يدخل في فن البلاغة إذا توسعت تحليلاتها لتشمل بناء النص كله، جملتيه وجمله، وأن دخوله في بناء دلالاته أيضًا لا ألفاظه فقط؛ إذ الإطناب هو وصف للمعاني الهامشية من أبنية الدلالات – كما سيأتي – وأشار د. محمد أبو موسى إلى أن جملة التذييل في الشعر جملة مؤكدة للمعنى قبلها. انظر: دلالات التراكيب، ص 296.

(2) انظر: د. محمد أبو موسى: دلالات التراكيب، ص 300.

وتجدر الإشارة إلى أن جملة عطف البيان تلتقي مع الجملة المفسرة في أن كلًّا منهما كاشفة لحقيقة ما تلته. والفارق بينهما – فيما لاحظت – أن المفسرة تكشف حقيقة مفرد قبلها، مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۞ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ... ﴾، بينما عطف البيان تكشف حقيقة جملة قبلها، مثل قوله تعالى: "وإذ نجيناكم من آل =

من نماذج الجملتين تبنى الثانية منهما على الأولى بناء نحويًّا دلاليًّا بنزولها منها منزلة التوكيد:

مثل قول لبيد بن ربيعة في سمطه؛ بعدما تساءل عما بقي من ذكرى نوار وقد بعدت بها الديار وتقطعت أسباب الوصل؛ جديدها وقديمها:

20- فاقْطَعْ لُبَانةَ مَنْ تَعرَّض وَصْلُه وَلَشرُّ واصلِ خُلَّةٍ صرَّامُها[1]

جملة "وَلَشرُّ واصلُ خُلَّةٍ صرَّامُها" نزلت من الجملة "فاقطع ..." منزلة التوكيد؛ لأن معناها أن شر الصحاب من يقدم على قطع مودة صاحبه قطعًا تامًّا بعد الوثاقة التامة فيها. ومعنى الأولى: اقطع حاجتك فيمن لا تستقيم مودته لك؛ بل تتأرجح بين الوصل والقطع(*). ومجيء الواو مع جملة التوكيد، التي هي منفصلة عن الجملة قبلها لكمال الاتصال بينهما، يضيف خيطًا من معنى المغايرة بين المعنيين، يجعل الجملة الثانية، وإن كانت توكيدًا للأولى لكنها أشد منها درجة في الاقتدار على القطع، كأن المعنى: إذا كنتِ قد تأرجحتِ في مودتك فإني صارم في قطعها غير متردد في ذلك[2].

ومنه قول علقمة ذي جدن الحميري في رثائه ملوك قومه وممالكهم:

=

فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم". وذكر د. حسني عبد الجليل في كتابه (إعراب النص، ص 31-32) أن السيوطي (في همع الهوامع 57/4)، اختار أن تكون الجملة التفسيرية عطف بيان، وأرى أن تظل تفسيرية؛ للتفرقة بينهما بالفارق الذي أشرت إليه.

(1) الهاشمي: الجمهرة. ج1، ص 357. واللبانة: الحاجة، وتعرض وصله: لم يستقم؛ كأنه أخذ يمينًا وشمالًا. والخُلّة: الصداقة والمودة والصلة. انظر: هامش 2.

(*) هذه الرواية للبيت أنسب لمعنى القصيدة من رواية أخرى ذكرها الهاشمي في الهامش 2: ولخير واصل خلة صرامها، والتي فسرها أهل اللغة بأن "خير الأصدقاء من إذا علم من صديقه أن حاجته تثقل عليه قطع حوائجه منه لئلا يفسد ما بينه وبينه"؛ لأن في القصيدة نغم غاضب آنف أن يُقطع، مفتخر بمناقب خاصة وعامة، كانت حرية أن تحرص أن تجعل المحبوبة محافظة على خلتها.

(2) ذكر د. محمد أبو موسى أن جمل التوكيد وعطف البيان قد تأتي موصولة بالواو. انظر: دلالات التراكيب، ص 301- 303. كما ذكر د. عبد الخالق عضيمة نماذج للجمل المؤكدة مقترنة بالفاء، وثم، ونماذج للجملة البدل من الجملة مقترنة بالفاء، من آيات القرآن الكريم. انظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ج11، ص 6، 17، 54.

12. لَــهُ سَــماهُ، وَلَــهُ أَرْضُــهُ مَــن ذا يُعــالي ذا الجَــلالِ اتّــضَعْ
13. اليِــوْمَ يُجْــزَونَ بِــأَعْمَالِهِمْ كــلُّ امــرئٍ يَحْــصُدُ مــا قــد زَرَعْ
14. صَــارُوا إلى اللَّهِ بِــأَعْمَالِهِمْ يُجْــزىُ مَــنْ خَــانَ وَمَــنِ اتَّــزعْ[1]

فالجمل الثلاثة في الشطر الثاني من كل بيت جاءت مؤكدات للمعنى قبلها؛ فجملة "منْ ذا يُعالي ذا الجلال اتَّضَعْ" تؤكد معنى السلطان المطلق لله عز وجل في الجملة قبلها "له سماه وله أرضه"، هذا السلطان الذي تُقهر دونه أية محاولة لمنازعته. وقد جاء الفعل "اتضع" لازمًا مبنيًّا للمعلوم؛ ليعبر عن أن محاولة المنازعة تسقط من ذات نفسها دون فعل من هذا السلطان المطلق معها.

وجاءت جملة التمثيل "كلُّ امرئ يَحصُدُ ما قد زَرعْ"، وفيها معنى عاقبة كل فعل في النهاية، تؤكد معنى الجزاء على الأعمال في اليوم الآخر في الجملة قبلها. والجملة الثالثة "يَجْزي الذي خان وَمَنْ اتَّزعْ"، وفيها معنى الجزاء على الحسنى والسوأى، تؤكد معنى الرجوع إلى الله بالأعمال، المقتضي المحاسبة عليها بالضرورة. والبيت كله توكيد لمعنى البيت قبله كله أيضًا.

- من نماذج الجملتين تُبنى الثانية منهما على التي قبلها بناء نحويًّا دلاليًّا بنزولها منها منزلة البدل، قول بشر بن أبي خازم في مجمهرته، يصف معاقبتهم تميمًا على غضبهم أن أوقعت أُسُدٌ قوم الشاعر ببني عامر:

10. كنَّــا إذا نَعَــروا لحــربٍ نَعْــرَةً نَــشفي صــداعَهمُ بــرأسٍ مِــصْدَم
11. نَعْلــو القــوانِسَ كــلَّ يــومٍ نعتــزي والخيــلُ مُــشعلةُ النحــورِ مــن الــدم[2]

فجملة "نَعْلو القوانس" أي نعلوها رءوسنا، أي نلبسها، بدل بعض من جملة التمثيل: "نشفي صداعَهمُ برأسٍ مِصْدَم"؛ لأن ارتداء القوانس جزء من أفعال المقاتلين تحت لواء

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 727. واتضع: هوى وانخفض. واتَّزع: كفَّ عن الفساد. انظر: هامش 2، 3.
(2) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 509. والنعرة: الصيحة، المصدم: السيد المقدم الشديد، القوانس: رءوس البَيْض. نعتزي: ننتسب، يقول عند اللقاء لخصمه: خذها وأنا ابن فلان. انظر: الهامش3، 4 ن ص.

قائدهم، الدالة على استعداد للحرب. والجملة فيها أيضًا شوب من البيان لمعنى جملة التمثيل، لكن البدلية فيها أظهر[1].

ومن نماذجه أيضًا قول النابغة الجعدي في مشوبته مُعدِّدا الأقوام الذين غالبوهم فغلبوهم:

57. ونحـــنُ ضربنـــا بالـــصَّفا آل دارِمٍ وحـــسّانَ وابْـــنَ الجَـــوْنِ ضَرْبًـــا مُنكَّـــرا

58. ضَرَبْنـا بطـونَ الخَيْـل حتـى تَنَاوَلَـتْ عَمِيـدَي بَنـي شَـيْبَانَ عَمـرًا ومُنْـذِرا[2]

فجملة "ضربنا بطون الخيل" بدل بعض من جملة "نحن ضربنا بالصفا آل دارم"؛ إذ الخيل بعض جيش الأعداء من بني دارم.

- من نماذج الجملتين تبنى الثانية منهما على التي قبلها بناء نحويًّا دلاليًّا بنزولها منها منزلة عطف البيان، قول مالك بن العجلان في مذهبته، مُحرِّضًا بني النجار على نصرته ضد بني عمرو بن عوف:

2. إنْ يَكُـــنِ الظّـــنُّ صَـــادِقًا بِبَنـــي النّـــ جّـــارِ لا يَطْعَمُـــوا التـــي عُلِفُـــوا

3. لَـــنْ يُـــسَلِمُونَا لِمَعْـــشَرٍ أَبَـــدًا مَـــا كَـــانَ مِـــنْهُمْ بِبَطْنِهَـــا شَرَفُ[3]

جملة "لن يسلمونا لمعشر ..." بينت معنى التمثيل في جملة "لا يطعموا التي علفوا" أنهم لن يتابعوا بني عمرو بن عوف في حكمهم بدية الحليف، وهي نصف الدية، ولن يقبلوا وقوع هذا الضيم، فنقلته من المجاز إلى الحقيقة والتصريح.

---

(1) ذكر الدكتور محمد أبو موسى أن البيان والبدل لا يخلوان من التوكيد؛ لأن في كلٍّ تكريرًا للمعنى وتحقيقًا، كما أن التوكيد لا يخلو من كشف للفكرة وبيانها، ولكن التحديد يكون لما هو أوضح فيها. انظر: دلالات التراكيب، ص 301. وبالمثل يكون البدل فيه بيان للفكرة؛ لأنه تفصيل وتخصيص لها.

(2) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 783- 784.

(3) الهاشمي: الجمهرة. ج2، ص 637–638. ولا يطعموا التي علفوا: لا يقبلون الضيم. انظر: هامش5.

وفي معارضة عمرو بن امرئ القيس لمالك بن العجلان في هذا الخلاف يقول في مذهبته مخاطبًا إياه[1]:

2. خَالَفْتَ فِي الرَّأْيِ كُلَّ ذِي فَخَرٍ والحَقُّ، يَا مَالُ، غَيْرُ مَا تَصِفُ

3. لاَ يُرْفَعُ العَبْدُ فَوْقَ سُنَّتِهِ والحَقُّ يُوفَى بِهِ، وَيُعْتَرَفُ[2]

فجملة "لا يُرفعُ العبدُ فوق سُنَّتِهِ" بيان للجملة "والحق ... غير ما تصف". والمعنى: أن "بُجيرًا" عبدٌ، لا تؤخذ فيه الدية كاملة، ولا يرفع فوق قيمته، فهذا هو الحق الذي خالفه مالك بن عجلان.

ومن عطف البيان أيضًا قول بشر بن أبي خازم في مجمهرته قبل البيتين الذين سبق الاستشهاد بهما في البدل:

8. سَائِلْ تَمِيمًا في الحُرُوبِ وعامِرًا أهَلِ المُجَرِّبُ مِثْلُ مَنْ لَمْ يَعْلَمِ؟

9. غَضِبَتْ تَمِيمٌ أَنْ تُقَتَّلَ عَامِرٌ يَوْمَ النِّسارِ فَأَعْتَبُوا بالصَّيْلَمِ[3]

المعنى من الجملتين "غضبتْ تميم ... فأعتِبوا بالصَّيلمِ" بيان لجملة الاستفهام قبلها "أَهَل المجرب مثل من يعلم؟"، وكأنها إجابة للاستفهام، وإن كان الاستفهام هنا للاستهزاء لا للاستخبار.

فالبناء النحوي لهذا النموذج جعل الجملتين الثانيتين معًا بيانًا معطوفًا على معنى الجملة الأولى. ويمكن تفسير ذلك بأن معنى الجملة الثانية "فأعتبوا ..." المعطوف بالفاء التي تفيد التعقيب، كأنه جزء من معنى الجملة الأولى، داخل فيه؛ ليعبر عن معنى السرعة في الاستجابة لهذا الغضب.

(1) عمرو بن امرئ القيس: شاعر جاهلي من الخزرج. انظر: د. الهاشمي: الجمهرة، ج 2، ص 673.

(2) الهاشمي: السابق، ص 674.

(3) الهاشمي: الجمهرة، ج 1، ص 509. وأعتبوا: من الإعتاب، وهو الإرضاء. والصيلم: الداهية. انظر: الهامش 2.

ج – الجمل المتصلة بما قبلها بعلاقة عطف النسق:

وتكون بإشراك الجملة الثانية للأولى في الحكم الإعرابي أو المعنوي بحرف عطف من أحد الحروف العاطفة للجمل؛ إما ظاهر مثل: الواو – الفاء – ثم – بل – أو – إما – أمْ – لكنْ، أو مقدر عند إرادة التعديد.

من نماذج العطف بالواو قول المسيب بن علس في منتقاته التي يمدح فيها مالك بن سلمة الخير القشيري:

7– وَلَقَدْ رَأَيْتُ الفاعِلينَ وَفِعْلَهُمْ فَلِذي الرّقِيبَةِ مالكٍ فَضْلُ[1]

جملة "ولذي الرُّقيْبةِ مالكٍ فضل" عطفت على جملة "ولقد رأيت الفاعلين ..."، وهي جملة لا محل لها من الإعراب؛ لأنها استئنافية ابتدأ فيها الشاعر فصلًا دلاليًّا جديدًا، هو مدح مالك القشيري. والواو قبلها للاستئناف، أو هي لعطف جملة من الكلام، هو غرض المدح، على جملة من الكلام، هي غرض التغزل قبله. ومن ثم فإن جملة "ولذي الرُّقيبةِ مالكٍ فضل" شاركت الجملة الاستئنافية قبلها، ليس في الحكم الإعرابي؛ إذ هي لا محل لها منه، بل في الحكم المعنوي، وهو الرؤية المؤكدة؛ رؤية الفاعلين ذوي الفضل في أفعالهم وكرمهم وعطائهم، ورؤية فعل مالك القشيري، والتي شاركتها في صدق المعرفة، وغايرتها في درجة الفضل[*].

---

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 549. وذو الرقيبة: هو لقب مالك بن سلمة القشيري. انظر هامش 1 ن ص.

(*) ذكر محمد الطاهر بن عاشور أن الوصل بين الجملتين يكون "إذا أريد تشريك الجملة المعطوف عليها في حكمها في الإعراب كعطف الجمل المعمولة لعامل واحد بعضها على بعض، أو التشريك في حكمها في المعنى وإن لم يكن للمعطوف عليها محل من الإعراب". موجز البلاغة، ص 27. وأرى أن هذه الأحكام المعنوية التي تشارك فيها الجملة المعطوفة الجملة قبلها إن لم يكن لها محل إعرابي، مما لم يفصل البلاغيون القول فيه. وأنه في حاجة إلى تتبع في نماذجه الشعرية والنثرية؛ للخروج برؤية نظرية ضابطة لهذه الأحكام المعنوية؛ لكثرتها التي تند عن الحصر من جهة، ولأن ابتداء القول في الفصل والوصل عند عبد القاهر الجرجاني كان خاصًّا بالجمل المعطوفة بالواو على الجمل التي لا محل لها من الإعراب؛ من جهة أخرى لأنها هي التي كانت تحتاج لفضل بيان لعلة الجمع بينها، على عكس المعطوفة بحروف العطف الأخرى غير الواو، وتلك التي عطفت على جمل لها محل إعرابي؛ لأن كليهما واضح فيه علة الاشتراك أو المعنى الجامع بين الجملتين، على ما بين الشيخ عبد القاهر في دلائل الإعجاز، ص 223–224. ويثور السؤال حول ماهية هذه الأحكام المعنوية هل هي المعاني البلاغية كالقصر (مثل المثال الذي ذكره ابن عاشور وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: 7])، والتوكيد والاهتمام بالتقديم =

ومن نماذجه أيضًا قول عبيد بن الأبرص في مجمهرته[1]:

19- لا يَعِظُ النّاسُ من لا يعظُ الدّ هْرُ، ولا يَنْفَعُ التَّلِبِيْبُ[2]

جملة "ولا ينفع التلبيبُ" معطوفة على جملة "لا يعظ الناس ..."؛ لمشاركتها إياها في انتفاء الجدوى، جدوى الوعظ وجدوى التلبيب عن الذي لم يعظ الدهر وتصاريفه التي هي خير معلم وخير مانح للتعقل. وكأن الجامع بينهما هو دونية درجة التأثير والنفع في كليهما عن تأثير الدهر ونفعه. وهذا اشتراك في عموم دلالة الجملة.

ومن نماذج العطف بالفاء، قول الشماخ بن ضرار الذبياني في مشوبته:

2- ومَرْتَبــةٍ لا يُــسْتَقالُ بهــا الــرَّدى تركــتُ بهــا الــشَّكَّ الــذي هــو عــاجِزُ

3- فكــلُّ خليــلٍ غــيرُ هاضــمِ نفــسِهِ لوَصْــلِ خليــلٍ صــارمٌ أو مُــعارِزُ[3]

جملة " فكل خليل ... صارم" عطفت بفاء السببية على جملة "تركتُ"، وهي خبر للمبتدأ "مرتبة"(*)، والمعنى: أني حَزَمْتُ في موقفٍ شديدٍ لا نجاة ولا مدفع عن الهلكة فيه، موقفٍ لا يحزم فيه إلا ذوو الإرادات؛ لأني أعد مَن لا يغمط حظ نفسه حفاظًا على صلته بخليله، هو في

= ... إلخ؟ أو هي الأحكام المعنوية السبعة المانعة من وجود حكم إعرابي للجملة كالابتداء (بالجملة المفتتح بها النطق، والمستأنفة انقطاعًا عما قبلها، وبعد حتى)، والاعتراض والتفسير،]وإجابة القسم[، وإجابة الشرط الجازم وغير الجازم المقترن بالفاء والصلة والتبعية لما لا محل له من الإعراب؟ أو هي عموم دلالة الجملة؟ أو هو مجرد الخلو من الحكم الإعرابي، الذي يُعَدُّ في نفسه حكمًا معنويًّا؟

(1) عبيد بن الأبرص: من فحول الجاهلية المعمرين، شهد مقتل حجر والد امرئ القيس. انظر: د. الهاشمي: الجمهرة، ج 1، ص 459.

(2) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 463. والتلبيب: التعليم وتكلف اللُّب من غير طباع ولا غريزة. انظر: هامش 3 ن ص.

(3) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 824. والمرتبة: المقام الشديد أو الموقف الصعب، لا يستقال: (لا يُدفَعُ فهو لابد واقع)، وهاضم نفسه: ظالم لها (منكر لحظها وحقها)، ومعارز: مجانب له منقبض عنه.

(*) "ومرتبة" مجرور برب محذوفة لفظًا، مرفوع محلًا بالابتداء. انظر: ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب، ج1، ص 119.

حكم القاطع لهذه الصلة، والمنقبض عن هذا الخليل. فالفاء جمعت الجملتين بعلاقة دلالية هي السببية، كما جمعت بينهما في الحكم الإعرابي، وهو الخبرية.

• ومن نماذج الجمل المعطوفة بالفاء أيضًا قول بشر بن أبي خازم الأسدي في مجمهرته:

4- سَمعَتْ بنا قَوْلَ الوُشاةِ فأصبحتْ صَرَمَتْ حبالَكَ في الخليط المُشْئمِ

5- فظلِلْتَ من فَرْطِ الصبابةِ والهوى طَرِفًا فؤادُك مثلَ فِعْلِ الأهْيَمِ [1]

جملة" فظللت ... طرفا فؤادك" معطوفة بالفاء على جملة "فأصبحت صرمت"، وقد أشركتها الفاء معها في الحكم النحوي وهو النعت؛ إذ جملة "فأصبحت" معطوفة على جملة "سمعت بنا" التي هي نعت خامس لمنعوت محذوف في البيت الثالث تقديره "فتاة":

3- دارٌ لبيضاءِ العوارضِ طَفْلةٍ مهضومةِ الكَشْحيْنِ، رَيَّا المِعْصَمِ[2]

وجاءت جملة "فظللت ..." لتعطف عليها في وظيفة النعت؛ إذ هي في فحواها نعت للفتاة؛ لأثرها الذي تركته عليه برحيلها، ثم هي أشركتها معها في علاقة دلالية ثنائية؛ إذ فيها معنى التعقيب، وهو الأظهر؛ إذ جاء الفعل "فأصبحت" وبعده "فظللت" للدلالة على فترتين من فترات النهار متعاقبتين، وإن كانت بينهما مهلة زمنية *، وفيها أيضًا معنى السببية؛ إذ كان صرمُها حبلَه برحيلها سببًا في حيرة فؤاده.

ومن نماذج الجملتين المتعاطفتين بـ "ثم" قول الطِّرِمَّاح بن حكيم في ملحمته[3]:

3- وأراني المليكُ رُشدِي وقدْ كنْ تُ أخا عُنْجُهِيَّةٍ واعتراضِ

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 508. والخليط: هم قومها وأهل دارها، والمشئم: المتجه نحو الشام، وطرفًا: يطرف هاهنا وهاهنا (متقلبا جبرةً)، والأهيم: الذاهب العقل، وقيل الذي وُلد أعمى. انظر الهامش 3، 4.

(2) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 508.

(*) ذكر ابن هشام الأنصاري في المغني ج1، ص 139 أن معنى التعقيب الذي تفيده الفاء هو في كل شيء بحسبه، ألا ترى أنه يقال: تزوج فلان فوُلد له، إذا لم يكن بينهما إلا مدة الحمل وإن كانت متطاولة". ثم قال: وقيل: الفاء تقع تارة بمعنى ثم.

(3) الطرماح بن حكيم: من فحول الشعراء الإسلاميين، نشأ بالشام، ثم انتقل إلى الكوفة مع من وردها من جيوش أهل الشام. اعتقد مذهب الشراة الأزارقة من الخوارج. انظر: د. الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 987.

4- غيْرَ ما ريبةٍ سوى رَيِّقِ الغِرَّ ةِ، ثم ارْعَوَيْتُ عند البياض[1]

جملة "ثم ارعويت" معطوفة على جملة الحال "وقد كنت أخا عنجهيةٍ"، شاركتها في دلالة الحال، وفي تراخي زمن الارعواء والانكفاف عن زمن العنجهية والاعتراض.

ويقول أحيحة بن الجلاح في مذهبته واصفًا حصنه الضَّحيان، وكان يُرى من مسيرة يوم لارتفاعه:

16. وَقَـــد أَعْـــدَدْتُ للحَـــدَثَانِ حِـــصْنًا لَـــوَ انّ المَـــرْءَ تَنْفَعُـــهُ العُقُـــولُ
17. طَوِيـــلَ الـــرّأسِ أَبْـــيَضَ مُـــشْمَخِرًّا يَلُـــوحُ كَأَنّـــهُ سَـــيْفٌ صَـــقِيلُ
18. جَـــلَاهُ القَـــيْنُ ثُمّـــتَ لَمْ يُـــشِنْهُ بناحيـــة، ولا فِيـــهِ فُلُـــولُ[2]

جملة "لم يُشِنْه" معطوفة بـ "ثمت" على محل جملة "جلاه القين" التي هي نعت خامس لـ "حصنًا"؛ ومن ثم فقد شاركتها في هذا المعنى النحوي، وهو نعت النكرة "حصنا". ثم هناك علاقة دلالية أخرى أضفاها حرف العطف "ثمت"، هو المهلة بين جلي القين للسيف وبين عدم شينه بعيب في أي جانب من صفحتيه، ولا بثلمٍ حدّه. وهذا التراخي الذي أضافه حرف العطف فيه معنى كمال عناية القين بصنعته وحرصه على كمالها بعد إتمامها[*].

أما عطف الجملتين بدون عاطف فلأن "قولهم: "إن أردت التشريك عطفت" لا يفهم منه لزوم العطف في هذه الحالة، وإنما يُفهم منه أنك إذا لم ترد التشريك فلا تعطف؛ لئلا يوهم

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 987. والعنجهية: التكبر. والاعتراض: النشاط، وريّق كل شيء: أوله. انظر: الهامش 4، 5.

(2) الهاشمي: السابق، ج2. ص 660- 661. والعقول: الحصون، مشمخرا: عاليا، فلولُ: ثلوم، واحدتها: فَلّ. انظر: ص 660 هامش 5، 6، وص 661 هامش 1، و"ثمت": هي "ثم" موصولة بالتاء المتحركة بالفتح، والتي تلحق "ربَّ" أيضًا. انظر: ابن هشام الأنصاري: المغني، ج1، ص 107.

(*) سأكتفي بهذه النماذج من بناء الجملتين بعطف النسق، مع الإشارة إلى ضرورة استقصاء الدرس النقدي لهذه الطريقة من طرق بناء الجملتين، وهي عطف النسق بكل حروف العطف، ودراسة فروق الدلالات الناتجة عن فروق المعاني بين هذه الحروف، لا في نصوص الجمهرة وحدها؛ بل في الشعر الجاهلي والإسلامي كله، سواء أكانت الجملتان قصيرتين أم طويلتين.

العطف خلاف ما تريد"[1]. وقد سمى الطاهر بن عاشور صورة من صور الفصل بين الجملتين بـ "التعداد"، وذكر لها مثالًا – فيه نظر – يُقدر فيها العاطف، وهو قوله تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية:12-13][2].

من أظهر التراكيب التي يتجلى فيها عطف الجملتين بدون عاطف جملة جواب الشرط، حيث يتعدد الجواب بلا عاطف لكنه منوي، والمنوي كالمذكور كما يقول النحاة. منها قول لبيد بن ربيعة في سمطه، يصف وَلَهَ البقرة الوحشية المسبوعة وبحثها عن ولدها:

44. حَتى إذا حَسَرَ الظّلامُ، وَأَسْفَرَتْ بَكَرَتْ تَزِلُّ عَنِ الثَّرَى أَزْلَامُهَا

45. عَلِهَتْ تَبَلَّدُ في نِهاءِ صَعَائِدٍ سَبْعًا تُؤامًا كَاملًا أَيّامُهَا[3]

فجملة "علهت" جواب شرط ثان لـ "إذا" بعد جواب الشرط الأول "بكرت"، ولا يتعدد جواب الشرط لفعل شرط واحد؛ ومن ثم فإن الجملة "علهت" تشارك جملة "بكرت"

(1) د. محمد أبو موسى: دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، ص 284- 285.

(2) انظر: الطاهر بن عاشور: موجز البلاغة، ص 24. والآيات ليست موضوعًا للاستشهاد؛ لأنها نعوت متعددة لكلمة جنة في الآيات قبلها: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝ الْأُولَىٰ..﴾، واستشهد د. محمد أبو موسى في كتابه (دلالات التراكيب، ص 285) على هذا التشريك بدون عاطف بقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (الرحمن: 1- 4). وذكر قول الزمخشري في الكشاف، ج4، ص 353 أن "هذه الأفعال مع ضمائرها أخبار مترادفة، وإخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد". وليست الآية موضعًا للاستشهاد أيضًا؛ لأن الجملتين "خلق الإنسان علمه البيان" خبران متعددان كما ذكر الزمخشري، والأخبار والنعوت لا تتطلب عاطفًا كما هو معروف. والتعديد الذي ذكره الزمخشري هو تعدد الخبر، لا "التعداد" الذي ذكره الطاهر بن عاشور.

(3) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 366. حسر: انكشف وذهب. أسفرت: صارت في بياض الصبح. الأزلام: القداح والسهام التي كان يُضرب بها في الجاهلية، شبه قوائمها بها لخفتها. علهت: اشتد جزعها. تلدد: تتردد وتلفَّت يمينًا وشمالًا متحيرة. نهاء صعائد: موضع فيه حاجز ينهى الماء أن يفيض. سبعا تؤاما: سبعة أيام بلياليها، جعل كل ليلة مع يومها توأما ثم جمعها على تؤام". كاملًا أيامها: لا ينقص جزعها في هذه الأيام. انظر: ص 366 هامش4،3،2، وص 367 هامش 1، 2.

في حكمها الإعرابي بعاطف مقدر[1]. وقيمة هذا التشريك بدون عاطف هو جعل الجواب الثاني كأنه مستقل في جوابيته للشرط، ومن ثم في قوة دلالته على تتابع مسار الأحداث، حدثًا بعد حدث.

ومثلها قول الشماخ بن ضرار الذبياني في مشوبته، يصف رحلة الحمار الوحشي بأتنه بحثًا عن الري:

42. فَلَـــمّا دَعَاهَـــا مِـــنْ أَبَـــاطِحِ وَاسِـــطٍ دَوَائِـــرُ لم تُـــضْرَبْ عَلَيْهَـــا الجَرَامِـــزُ

44. تَوَجّـــسْنَ، واسْـــتَيْقَنَّ أَنَّ لَـــيْسَ حَـــاضِرٌ عـــلى المـــاءِ إلَّا المُقْعَـــدَاتُ القَـــوَافِزُ

45. نَهِلْهُـــنَ بُمَّـــدانٍ مِـــنَ اللَّيْـــلِ مَوْهِنًـــا عَـــلَى عَجَـــلٍ ولِلْفَـــرِيصِ هَزَاهِـــزُ[2]

فجملة الشرط "فلما دعاها من أباطح واسط دوائر" أجيب عن شرطها بثلاثة أفعال، هي: توجَّسنَ – استيقن – نهلن، جاءت جميعًا في حيز الشرط، فوجد الجواب الأول "توجسن" عند وجود فعل الشرط، وهذا معنى "لما"[3]، وعطف الجواب الثاني على الأول بحرف العطف الواو، وعطف الجواب الثالث على الثاني بعاطف مقدر، فآذنت الواو بوجود مهلة بين فعل التوجس وفعل الاستيقان؛ لأن الاستيقان وقع بعد التوجس؛ إذ بينهما تلفت وتنصت وحذر، بينما آذن غياب العاطف وتقديره بغياب المهلة بين الاستيقان وبين النهل؛ ليدل على شدة ظمئها وإسراعها للوقوع على الماء فور استيقانها من خلو المكان حول الدوائر من خطر الصائد، كأنه قال: لما سمعت خرير المياه من أباطح واسط، وهي مسايل مياه لم يُسكن حولها، فهو أغزر لها وأصفى، توجست الأتن في تقدمها نحو هذه المسايل، فلما تيقنت من موضع أمنها من الصائد نهلت من

(1) انظر: ابن هشام: مغني اللبيب، ج2، ص 170، وذكر أن حذف حرف العطف بابه الشعر.

(2) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 834- 835. والأباطح: جمع أبطح، وهو مسيل الماء، وواسط: اسم ماء في نجد. والدوائر: رمال مستديرة يستنفع منها الماء. الجرامز: الحيطان. لم تضرب عليها: لم تُبْنَ عليها، أي لم تسكن. المقعدات التوافز: الضفادع. النهل: أول الشرب. مُدان: مُتدان أي متقارب. موهنا: نحو من نصف الليل. والفريص: جمع فريصة. وهي اللحمة التي تحت الإبط مما يلي العضد. وهزاهز: اهتزاز. انظر: هامش 2 ص 834، وهامش 2، 3 ص 835.

(3) قال ابن هشام في المغني ج1، ص 219 أن "لما" تقتضي جملتين وجدت ثانيتهما عند وجود أولاهما".

الماء في وقت قريب من منتصف الليل، عجلة أن يفاجئها الصائد في هذا الظلام.

وجدير بالملاحظة كثرة الجمل الخبرية والإنشائية المتعاطفة في نصوص الجمهرة؛ مما يرجح رأي النحاة في هذه المسألة؛ إذ تؤيدها هذه النصوص الفصيحة من عصر الاحتجاج. وقد اتخذت هذه الجمل المختلفة خبرًا وإنشاء نفس مواضع الجمل المتفقة خبرًا وإنشاء في الوصل أو العلاقة النحوية الدلالية، وفي أدوات العطف، فجاءت معطوفة على ما له محل من الجمل، وعلى ما ليس له محل من الجمل، كما جاءت توكيدًا لجمل قبلها.

ويلاحظ على مسألة عطف الخبر على الإنشاء والعكس عدة ملاحظات:

الأولى: أن الجمل المختلفة خبرًا وإنشاء يجري عليها من أحكام الفصل والوصل ما يجري على الجمل المتفقة خبرًا وإنشاء، استنادًا إلى:

أ. رأي النحاة في جواز عطف الخبر على الإنشاء والعكس[1].

ب. وجود كثرة وافرة من الشواهد على هذا العطف في القرآن الكريم وفي لغة العرب[2].

الثانية: أن العطف بين هذه الجمل المختلفة خبرًا وإنشاء إذا كان على ما له محل، فإن المعطوفة تشارك المعطوف عليها في الحكم، أما إذا كان العطف على ما لا محل له، فإن العلماء اختلفوا؛ فابن هشام الانصاري يرى أن الجملة مستأنفة، بينما يرى الزمخشري أن الجملة معطوفة لكنه عطف جملة كلام على جملة كلام[3].

وعلى رأي ابن هشام تكون هذه الصورة من علاقات الجمل ضمن النمط الثالث من أنماط العلاقات، وهو العلاقة اللفظية الدلالية، وعلى رأي الزمخشري تكون من النمط الثاني، وهو العلاقة النحوية الدلالية لكن بين الجمل الطويلة. ويكون العطف في الجملتين

(1) انظر: د. عبد الخالق عضيمة: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ج3، ص 443، 466، وذكر أن ذلك وارد في الأشباه والنظائر للسيوطي 237/3. وفي الكشاف للزمخشري 3/ 82، وأنه مذهب سيبويه. وانظر: د. محمد محمد أبو موسى: دلالات التراكيب، ص 321.

(2) انظر: د. محمد أبو موسى: دلالات التراكيب، ص 321.

(3) انظر: د. محمد أبو موسى: السابق، ص 323، ورأي ابن هشام في: المغني ج2، ص 33، ورأي الزمخشري في: الكشاف، ج1، ص 78.

القصيرتين على الحكم المعنوي للجملة التي لا محل لها من الإعراب – مثلما في الجمل المتفقة خبرًا وإنشاء – أو تكون مستأنفة كما هو رأي ابن هشام الأنصاري.

والأخيرة: أن كثيرًا من صيغ الإنشاء التي وردت في الشعر كان إنشاءً لفظًا دون المعنى، أي كان غرض الإنشاء معنى آخر غير معناه الحقيقي، ومن ثم ينتهي بعض الخلاف حول هذه المسألة. وهو ما أشار إليه البيانيون بأنه عطف على المعنى، وأطلقوا عليه مصطلح "التوسط بين الكمالين".

من نماذج هذه الجمل ذات العلاقة النحوية الدلالية، قول لبيد بن ربيعة في سمطه:

10- فوقفتُ أسألها، وكيف سؤالُنا صُمّا خوالدَ ما يَبينُ كلامُها؟[1]

جملة "وكيف سؤالنا صُمّا" جاءت مقترنة بالواو بعد جملة الحال "أسألها"، والجملة إنشائية استفهامية بعد الجملة الخبرية "أسألها"، التي هي حال من ضمير الفاعل في "وقفت"؛ ومن ثم فإن العلاقة بين الجملتين علاقة نحوية دلالية، تحتمل أحد وجهين للإعراب: **الأول:** أن جملة "وكيف سؤالنا ..." معطوفة بالواو على جملة "فوقفت ..."، فشاركتها في حكمها النحوي، وهو العطف على جملة النعت المقطوع "دِمْن تجرَّم ..." أو الاستئناف بالفاء. ويكون المعنى: وجدت هذه الدمن قد تطاول عليها الزمان فتركها آثارًا بعد أعيان، فوقفت أسألها ولم تجبني. **الثاني:** أن جملة "وكيف سؤالنا ..." حال من ضمير المفعول في جملة الحال قبلها "أسألها"، وقد اقترنت بالواو؛ ومن ثم فإن علاقتها بها لفظية ونحوية دلالية، وهي حال مركبة. ويكون المعنى: فوقفت أسألها وهي صامتة لا تجيب. ويلاحظ على معنى الجملة الاستفهامية أن الاستفهام فيها لفظي للتعجب، وأن معناها خبري.

ومنها أيضًا قوله في نفس السمط:

17- مُرِّيَّةٌ، حَلَّتْ بِفَيْدَ، وَجَاوَرَتْ أَهْلَ الحِجَازِ، فَأَيْنَ مِنْكَ مَرَامُها[2]

جملة "أين منك مرامها؟" جملة إنشائية استفهامية لفظًا، ومعناها: فلن تراها، أو فقد حالَ

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 352.

(2) الهاشمي: السابق، ص 355. ومرية: من بني مُرة بن عوف بن سعد. وفيد: موضع. انظر ن ص.

البُعدُ بينك وبين رؤيتها ثانية. وقد عطفت الجملة بفاء السببية على جملة "وجاورت أهل الحجاز"، المعطوفة بدورها على جملة النعت "حلت بفيد"، ومنعوتها "مرية" التي تمثل مع المبتدأ المحذوف المقدر "هي" جملة نعت مقطوع. ومن ثم فإن العلاقة النحوية الدلالية بين الجملتين تربطهما برابط السببية، ودلالة النعت التي تتصف بها هذه المرأة المُرية.

ويقول دريد بن الصمة في منتقاته واصفًا وفاقه التام مع بني قومه غَزِيَّة في الرشاد وفي الخطأ:

9. أَمَـــرْتُهُمُ أَمْـــرِي بِمُنْعَـــرَجِ اللِّـــوَى فَلَـمْ يَسْتَبينوا النّصْحَ إلّا ضُـحَى الغَـدِ

10. فَلَـمّا عَـصَوْني كُنْـتُ مِـنْهُم وَقَـدْ أَرَى غَـــوَايَتَهُمْ؛ وأَنّنـــي غـــيرُ مُهْتَـــدِي

11. وهَـــلْ أَنَـــا إلّا مِـــنْ غَزِيّـــةِ إنْ غَـــوَتْ غَوَيْـــتُ وإنْ تَرْشُـــدْ غَزِيّـــةُ أَرْشُـــدِ[1]

جملة "فهل أنا إلا من غزية" إنشائية، عطفت بفاء السببية على مضمون الجملة الشرطية مع الحال المتعلقة بها "فلما عصوني كنت منهم وقد أرى ..."، وهذا المضمون هو موافقته لهم حتى مع عصيانهم أمره، على الرغم من أنه يرى أنه غير مهتد في هذه الموافقة. وجاءت جملة الاستفهام "فهل أنا إلا من غزية" تعليلًا لهذه الموافقة، بالرغم مما يراهم عليه من غيّ. والاستفهام هنا ليس للطلب الحقيقي؛ بل للتقرير والتوكيد المستمد من صيغة القصر بالاستثناء، ومن تكرار "من" حيث جاءت في البيت السابق "منهم". ومن ثم فإن الجملتين قد ارتبطتا برابط العطف المتضمن معنى التعليل، مع الرابط الدلالي بين الجملتين، وهو توكيد وتقرير حقيقة البعضية في "من"، المُبَيِّنة بجملة "إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد"، وهي جملة عطف بيان من الخبر شبه الجملة "من غزية".

ومن النماذج أيضًا قول القُطامِيّ في مفتتح مشوبته:

1- إنَّا مُحيّوك فاسلمْ أيها الطَّلَلُ وإن بَليتَ وإن طالت بك الطِّوَلُ[2]

(1) الهاشمي: الجمهرة ج1، ص 589- 590.

(2) الهاشمي: الجمهرة. ج2، ص 4- 8. والطِوَل: طِوال الدهر ولم يذكر الرواة واحدها، وتقدير واحدتها: طِيلة وطيل، مثل: كسرة وكسر. انظر: هامش (1) ن ص. وذكر د. محمود الربيعي في تحقيقه للديوان أن: "الطول هو =

جملة "فاسلم" وهي إنشائية دعائية، عطفت على الجملة الابتدائية "إنا محيوك" بفاء العطف التي تفيد الترتيب؛ إذ المعنى: إنا محيوك فداعون لك بالسلامة، أو فطالبون لك السلامة. وقد جاء الترتيب في القول بناء على الترتيب في الواقع؛ إذ تكون التحية أو السلام أولًا ثم الدعاء للمُحَيَّى. وهذا الترتيب هو الحكم المعنوي الذي جمع بين الجملتين بفاء العطف.

ومن نماذج العطف على الحكم المعنوي أيضًا قول مالك بن العجلان في مذهبته:

24- قد فَرّقَ اللَّهُ بَيْنَ أَمْرِكُمُ في كُلّ صَرْفٍ فَكَيْفَ يأْتَلِفُ[1]

فالجملة الإنشائية لفظًا الخبرية معنى "فكيف يأتلف؟" عطفت على الحكم المعنوي في الجملة الاستئنافية "قد فرَّق الله بين أمركم"، وهو التوكيد الذي أضافته "قد" لمعنى الجملة، فجاء الاستفهام في الجملة الإنشائية المعطوفة تقريرًا وتوكيدًا لعدم الائتلاف؛ إذ المعنى: قد فرق الله بين أمركم ... فلن تأتلفوا.

3-3 العلاقة اللفظية الدلالية:

تكون هذه العلاقة بين الجملتين المنفصلتين نحويًّا، المتصلتين دلاليًّا، مع وجود رابط لفظي يدعم هذه الاتصال الدلالي.

من نماذج هذه العلاقة اللفظية الدلالية، قول طرفة بن العبد في سمطه، مادحًا نفسه، مفتخرًا بفضائله التي يعدُّها قومه رذائل:

51. نَــداماىَ بِــيضٌ كَــالنُّجومِ، وَقَينَــةٌ تَــرُوحُ عَلَينــا بَــيْنَ بُــرْدٍ وَمُجْــسَدِ

....

=

من المطاولة"، وجاءت رواية البيت عنده "الطِيَل" "وهي الدهور ... طُولى وطُوَل مثل كبرى وكبر، وإن طالت عليك الدهور". انظر: ديوان القطامي. تأليف عُمير بن شُييم التغلبي (ت 101هـ)، دراسة وتحقيق: د. محمود الربيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001م. ص191- 192.

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 641.

55. وما زالَ تَشرابي الخُمُورَ ولَذّتي وبَيعي وإنفاقي طَريفي ومُتلَدِي

56. إلى أَنْ تَحامَتني العَشِيرةُ كلُّها وأُفرِدْتُ إفرادَ البَعيرِ المُعَبَّدِ[1]

الجملة "وما زال تشرابي الخمور..." والتي حذف فيها خبر "ما زال"، وتقديره "عادتي أو شأني"، مستأنفة بالواو بعد جملة "نداماي بيض وقينة"، والتي طالت إلى البيت 54 بسبعة نعوت لـ "قينة"؛ إذ عرج المعنى من الفخر بنفسه إلى سبب الخلاف بينه وبين عشيرته، وإن كان هذا السبب نفسه فخرًا له فيما يحسَب، وهو رابط دلالي بين الجملتين.

ومن نماذج هذه العلاقة الدلالية التي يدعمها الرابط اللفظي حرف الواو، قول المسيب بن علس في منتقاته:

1. بَكَرَتْ لِتُحْزِنَ عَاشِقًا طَفْلُ وَتَبَاعَدَتْ، وَتَجَذّمَ الوَصْلُ

2. أَوَكُلَّما اخْتَلَفَتْ نَوًى، وَتَفَرقوا لِفُؤادِهِ مِنْ أجْلِهِمْ خَبْلُ

3. وإذا تُكَلِّمُنَا تَرَى عَجَبًا بَرَدًا تَرَقْرَقَ فَوْقَهُ ضَحْلُ[2]

جملة "إذا تكلمنا ترى عجبًا" مستأنفة بالواو بعد "أوكلما اختلفت ... لفؤاده ... خبل"؛ إذ انعطف المعنى إلى مسار آخر بعد ذكر أثر رحيل المحبوبة، إلى وصف ريقها ولمعان أسنانها. والرابط الدلالي بين الجملتين هو تذكر ملامح جمالها بعد بَيْنها، والذي كان من بين أسباب حزنه وذهاب قلبه. ويحتمل أن تكون الجملة هنا معطوفة على "أوكلما اختلفت ..."، المعطوفة بدورها على "تجذم الوصل" وتكون قد شاركتها في الحكم المعنوي، وهو اطراد حدوث الأثر لحدوث الشرط؛ ففي الأولى يصيبه الخبل كلما ارتحلت ثم عادت ثم ارتحلت، وفي الثانية يصيبه العجب مما

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 436- 438. والبرد: الثوب الأبيض، والمُجسَد الثوب المصبوغ بالزعفران خاصة. والطريف: ما استحدث [من المجد والمال، والتليد ما ورثه من ذلك]. والبعير المعبد: المفرد المطلي بالقطران؛ لسقوط وبره. انظر: ص 436، 438 وهامش (2) ص 438.

(2) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 547- 548. والطَّفْل: الرخص الناعم، ذكرها للوزن، واختلفت نوى: تحولت من مكان لآخر أو من دار لأخرى، كما تنتوي الأعراب في باديتها. والخبل: فساد العقل، والبَرَد: قطع الثلج الصغيرة. والضحل: الماء القليل. انظر ص 547، هامش 3، 4، وص 548.

يرى؛ من نصاعة أسنانها المتخلّلة بريقها العذب. وكلاهما تشارك الجمل المتعاطفة الثلاثة قبلها في حدوث أو سريان أثر الارتحال إذ أحزنه ذلك.

من نماذج هذه العلاقة الدلالية التي يربط بين الجملتين فيها حرف الاستئناف الفاء، قول لبيد بن ربيعة في سمطه، مفتخرًا بقومه، قاطعًا سياق الفخر بقومه بجمل نعوت ومتعاطفات:

81. مِنْ مَعشَرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آباؤُهُمْ ولِكُلّ قَوْمٍ سُنّةٌ، وَإِمَامُهَا

.....

84. فَبَنَوْا لَنا بَيتًا رَفيعًا سَمْكُهُ فَسَمَا إِلَيهِ كَهْلُها وغُلامُهَا

85. فاقنَعْ بِمَا كتب المَلِيكُ، فإنّما قَسَمَ الخَلاَئِقَ بَيْنَنا عَلاّمُهَا

86. وإذا الأمانَةُ قُسّمتْ في مَعْشَرٍ أَوْفَى بِأَعْظَمِ حَظِّنا قَسَّامُهَا[1]

جملة "فاقنع ..." جملة مستأنفة بالفاء، قطعت سياق الجملتين المتعاطفتين "فبنوا لنا بيتًا، وإذا الأمانة قسمت ... أوفى ..."، وهذه الفاء المستأنفة بها الجملة تربط الجملة بما قبلها برابط السببية الذي هو معناها، يقول: هذه المفاخر والفضائل خصوا بها؛ لأنها قسمة الله بين عباده، فهو الذي يعلم أين يضع فضائل الأخلاق. وكأن الشاعر يبطل اعتراض معترض على اختصاص قومه بجمع هذه الفضائل، فيعلل هذا الاختصاص برده إلى القدر الإلهي، الذي لا مجال للاعتراض عليه من أحد، ويمكن أن تكون هذه الفاء عاطفة للجملة الطلبية "فاقنع" على الخبرية "فسما إليه"، وشاركتها في حكم الإثبات[2].

والجملة "فإنما قسم المعايش بيننا علامها" مستأنفة أيضًا، والفاء هنا رابطة الجواب "إنما

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 381.

(2) ذكر المالقي أن الفاء العاطفة للجمل يجوز أن يكون قبلها جملة خبرية وبعدها جملة طلبية والعكس. انظر: أحمد بن عبد النور المالقي (ت702هـ): رصف المباني في شرح حروف المعاني، ت. د أحمد محمد الخراط، دار القلم – دمشق، ط2، 1405هـ = 1985م، ص 441-442. وقال المرادي عن فاء الاستئناف بعد ذكر ما قاله المالقي عنها: "وهذه الفاء ترجع عند التحقيق للفاء العاطفة للجمل لقصد الربط بينها". انظر: أبو الحسن بن قاسم المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، ت. د فخر الدين قباوة وأ. محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1413هـ = 1992م، ص 76.

قسم" بجملة الطلب "فاقنع ..."، وهي تربطها بمعنى السببية والترتيب[1]، أو الإتباع كما قال ابن جني[2].

ومن نماذج هذه الفاء أيضًا قول أحيحة بن الجلاح في مذهبته:

4. وَلَكِنّـــي جَعَلْـــتُ إزايَ مَـــالي فَأُقْلِـلُ بَعْـدَ ذَلِـكَ، أَو أُنِيـلُ
5. فَهَـلْ مـــن كَـــاهِنٌ أَوْ ذِي إلَهٍ إذا مـا حَـانَ مِـنْ رَبٍ أُفُـولُ
6. يُراهِنُنـــي فَيَرهَنُنـــي بَنِيـــهِ وأَرهَنُـــهُ بَنـــيَّ بِـــمَا أقُـــولُ[3]

جملة "فمن من كاهن ... يراهنني" مستأنفة بفاء الإتباع التي ربطت معناها وهو: من ذا الذي يراهنني من رجال الكهانة أو من رجال الدين، فيرهنني بنيه وأرهنه بني، على أنّ ما من أحد من الناس يعلم بقرب نهاية أحد، أو بزوال نعمة عنه[4]؛ بمعنى البيت قبله، وهو اختياره أن يقوم بأمر ماله، ويعطي منه أو يبخل، دون اللهو وألوان الملذات. وكأنه يعلل لهذا الاختيار بهذه المراهنة على عدم علم أحد بما سيكون غدًا بفاء الإتباع.

ومن نماذج هذه الفاء أيضًا قول طرفة بن العبد في سمطه، بعد عرض فلسفته في الحياة التي ترى الموت قدرًا قاهرًا لكل حي، لا يفرق بين كريم وبخيل، ولا يغادر نفسًا إلا طواها يقول:

---

(1) انظر: المالقي: السابق، ص 442.

(2) ذكر ابن جني أن فاء الإتباع تفيد أن ما قبلها سبب وعلة لما بعدها دون العطف، وتكون وظيفتها فقط ربط الكلام؛ لأن ما بعدها يجوز الابتداء به، فجيء بها لتدل على أن ما بعدها مرتبط بما قبلها وليس مستقلًّا عنه مستأنفًا، بخلاف الفاء التي للإتباع والعطف جميعًا، والتي لا يجوز الابتداء بما بعدها. انظر: أبو الفتح عثمان بن جني: سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية 1413هـ = 1993م، ج1 ،ص 252- 253. وذكر أن هذه الفاء للإتباع، المتجردة عن العطف "هي في الكلام كثيرة جدًّا". انظر: ج1، ص 259.

(3) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 658. والكاهن: الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار. والربُّ: المالك أو السيد المطاع، والمراد أفول نجمه، أي زوال عزه وسلطانه. انظر: ص 658 هامش 5، 6 [و"كاهن: بدل من "ذا"].

(4) الهاشمي: السابق ن ص هامش 5، 6.

71. لَعَمرُكَ! إنَّ المَوتَ ما أَخطأَ الفتى لكالطِّوَلِ المُرْخَى وثِنياهُ باليَدِ

72. إذا شاءَ يَوْمًا قادَهُ بِزِمامِهِ ومَنْ يَكُ في حَبْلِ المَنيّةِ يَنْقَدِ

73. فَما لي أراني وابنَ عَمّيَ مالِكًا متى أَدْنُ منهُ يَنْأَ عَني ويَبْعُدِ؟ (1)

جملة "فما لي أراني ... متى أدن منه ينأ عني" مستأنفة بفاء الإتباع بعد جملة "لعمرك إن الموت ... لكالطول المرخى"، ربطتها بها بعلاقة السببية في الفاء. والدلالة في الجملتين على النحو التالي: إذا كان الموت سيصيب الإنسان مهما طال به العمر، فلماذا كلما حاولت الاقتراب من ابن عمي مالك ابتعد عني ولم يعبأ بهذا الدنوّ؟! والمعنى وراء هذا المعنى: إن العمر أقصر من أن نقضيه في قطيعة مع ذوي الأرحام.

أما الرابط اللفظي بين الجملتين المنفصلتين نحويًّا، وهو حرف الابتداء "حتى"، فقد جاء منفردًا ومقترنًا بـ "إذا" الشرطية. أما مجيئه منفردًا فتأتي الجملة بعده إما فعلية أو اسمية. فمن الجملة الفعلية قول قيس بن الخطيم في مذهبته، مفتخرًا بأيام قومه الأوس على الخزرج، ومنها يوم بعاث:

19- أَطَاعَتْ بَنُو عَوْفٍ أَميرًا نَهَاهُمُ عنِ السِّلْمِ، حتى كانَ أَوّلَ واجِبِ(2)

جاءت "حتى" غاية لمعنى الجملة قبلها، وهو نهي مقدَّم بني عوف لهم عن الاستجابة لنداء السلم، وطاعتهم إياه في ذلك، ثم جاء المعنى المستأنف بعد "حتى"، مبينًا أنه كان أول من سقط في هذه الحرب التي أصر عليها. و"حتى" هنا متعلقة بـ "نهاهم"، ربطت انتهاء النهي بابتداء القتل، أي ظل ينهاهم عن السلم إلى أن كان أول من يقتل في هذه الحرب. وفي هذه العلاقة الدلالية بين الجملتين معنى المفارقة والمفاجأة غير المتوقعة من جهتين، من جهة أنه أمير فكان أول قتيل، ومن جهة أنه أصر على الحرب فكان أول هالك فيها.

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 442. والطول: الحبل. وثنياه: طرفاه. انظر هامش 2، 3.

(2) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 652. ويوم بعاث كان بين الأوس والخزرج، وبنو عوف: من الخزرج. والواجب: الهالك والقتيل. انظر: ص 651 هامش 3، وص 652 هامش1. وفي المعاني الكبير لابن قتيبة، مج 2، ص 969: "واجب ميت، وقولهم: وجبت الشمس إذا سقطت، ووجب البيع: إذا وقع.

ومنها قول القطامي في مشوبته واصفًا الدمن التي غيرتها الأعصر الأول:

5- كانت منازل مِنَّا قد نَحُلُّ بها حتى تغيَّر دهرٌ خائنٌ خَبِلُ[1](*)

جملة "كانت منازل مِنَّا قد نَحُلُّ بها"، والتي جاءت نعتًا رابعًا لـ "دمن" في قوله:

2- أنَّى اهتديتُ لتسليم على دِمَنٍ بالغَمْرِ غيرهُنَّ الأعصُرُ الأُوَلُ

3- صافتْ تمعَّجُ أعناقُ السيول به من باكرٍ سَبِطٍ أو رائحٍ يَبِلُ[2]

جملة النعت "كانت منازل مِنَّا قد نَحِلُّ بها"، والتي تصف كثرة نزوله بتلك المنازل حين كانت عامرة بأهلها، انتهى معنى النعت فيها إلى غاية، ولم يستمر، وكان هذا الانتهاء إلى هذه الغاية أو الحد، ثم كان تفرق أهلها عنها لتغير الدهر المفسد المتنقص من كل كمال في أحوال الناس. هذه العلاقة الدلالية من كون المنازل على حال من الاجتماع والاستئناس بها، ثم التفرق والتنقص منها، ربطت بينها "حتى"؛ بما أفادت من معنى الغاية لحال، ثم ابتداء حال جديدة استؤنفت فيها الجملة بعدها استئنافًا نحويًّا.

ومن نماذج الجملة الاسمية قول أبي ذؤيب الهذلي في مرثيته[3]:

10- وتَجَلُّـــدي للـــشامتين أُريهـــمُ أنِّي لريـــب الـــدهر لا أتَضَعْـــضَعُ

---

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 805.

(*) نقل د. عضيمة عن الزمخشري في الكشاف ج1، ص 100، ج2. ص 10، أن "قد" التي يليها المضارع تأتي بمعنى "ربما" التي تجيء لزيادة الفعل وكثرته، مثل قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[البقرة: 144]. ونقل عن أبي حيان الأندلسي في البحر المحيط ج1، ص 427، 428 أن " نرى" في الآية مضارع بمعنى الماضي، وتكون للتحقيق والتوكيد وأن التكثير الذي قال به الزمخشري لم يفهم من "قد"؛ بل من سياق الكلام. انظر: د. عبد الخالق عضيمة: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ج2، ص 251- 252. والأنسب لمعنى البيت أن يكون المراد كثرة نزوله بالديار؛ ليناسب دلالة "حتى" التي أفادت انتهاء هذه الكثرة عند غاية هي تغير الدهر، وليس المناسب معنى التحقيق والتوكيد؛ لأن السياق ليس فيه شك في هذا الخبر، فيورده مؤكدا بـ "قد".

(2) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 804.

(3) أبو ذؤيب الهذلي، خويلد بن خالد: شاعر مخضرم، وهو أشعر هذيل. وفد على النبي ﷺ في مرض موته، فأدركه مسجى، فصلى عليه وشهد دفنه. انظر: د. الهاشمي: الجمهرة، ج 2، ص 683.

11- حتـــى كـــأني للحـــوادث مـــروة بـــصفا المـــشقر، كـــل يـــوم تُقـــرع[1]

جملة "حتى كأني للحوادث مروة" جاء معناها غاية لمعنى الخبر في جملة "أني لريب الدهر لا أتضعضع". يقول أن تجلده للحوادث لا نهاية له إلا الصلابة الكاملة، وأن استمساكه غاية ينتهي دونها كل نوازل الأيام.

وأما "حتى" المقترنة بأداة الشرط "إذا"، فإن الفارق بينها وبين "حتى" المنفردة أن معنى الغاية فيها يؤخذ من جملة جواب الشرط[2]، وأن جواب الشرط قد يحذف[3]؛ وقد وردت نماذج من حذف جواب "إذا" في هذا التركيب في المعاني الجزئية التي بنيت بناء لفظيًّا بـ "حتى إذا"، كما سيأتي في بعض النصوص موضع التحليل.

من نماذج هذا الرابط قول ذي الرمة في ملحمته واصفًا سرعة ناقته:

34- تُصْغِي إذا شدَّها بالكُور جانحةً حتى إذا ما استوى في غَرْزها تَثِبُ[4]

فقد ربطت "حتى إذا" بين جملة "تصغي ..." وجملة الاستئناف "إذا ما استوى في غرزها تثب"، بمعنى الغاية فيها، فكأن ميل الناقة دانية إلى الأرض يستمر حتى ينتهي باستوائه في غرزها فتثب[5]. والعلاقة الدلالية بين الجملتين علاقة الفعل يأتي بعد انتهاء الفعل قبله.

ويقول في هذه الملحمة أيضًا، واصفا شدة عَدْو الظليم، رائحًا إلى فراخه أو بيضه، وقد اشتد عصف الريح وقصف الرعد:

---

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 685. والمروة: واحدة المرو، وهي حجارة بِيض براقة. الصفا: جمع صفاة وهي الحجارة العِراض المُلْس. المشقر: جبل لهذيل. يقال لمن كثرت مصائبه: قُرعت مروته. انظر ن ص هامش 2.

(2) هذا هو رأي الجمهور كما ذكر د. عضيمة: دراسات لأسلوب القرآن الكريم ج2، ص 115، لكني أرى أن معنى الغاية يؤخذ من جملة الشرط والجواب جميعًا، لا من جواب الشرط فقط.

(3) انظر: د. عبد الخالق عضيمة: السابق، ص 115، 130.

(4) الهاشمي: الجمهرة. ج2، ص 948. تصغي: تميل كما يميل المستمع. والكور: الرحل. جانحة: مالت دانية لاصقة بالأرض. والغرز للناقة بمنزلة الركاب للدابة. انظر: ن ص هامش 5.

(5) نقل د. عضيمة عن أبي حيان في البحر المحيط، ج7، ص 396، أن الفعل قبل حتى "يكون متطاولًا حتى تصح الغاية". انظر: ج2، ص 129، أي أنه يستمر مدة ثم ينتهي إلى غاية، ثم يستأنف بعده فعل آخر.

117- كَأَنّه دَلْوُ بِئْرٍ جَدّ مَاتِحُها حتى إذا ما رآها، خانَهُ الكَرَبُ[1]

جملة "كأنه دلو بئر جد ماتحها" انتهى معناها، وهو شد الماتح للدلو بسرعة شديدة، عند اقترابها من فم البئر إذ انقطع الحبل، وهو معنى الجملة الثانية، فكانت العلاقة بينهما أن الثانية غاية انتهى إليها معنى الجملة الأولى. وكانت "حتى" المقترنة بأداة الشرط رابطًا لفظيًّا، ربط بينهما بهذه العلاقة الدلالية، بالإضافة إلى علاقة التوالي الزمني التي تربط الثانية بالأولى.

3-4 العلاقة الدلالية:

وهي العلاقة التي تربط الجملة المستأنفة بما قبلها. وقد تنوعت في نصوص الجمهرة إلى نوعين؛ الاستئناف البياني، والاستئناف المحض. وقد تنوعت صور كل نوع منهما في نصوص الجمهرة.

من الاستئناف البياني: مجيء الجملة المستأنفة في حيز القول. مثل قول أبي ذؤيب الهذلي في مرثيته:

2- قالت أميمة: ما لِجِسْمِك شاحبًا منذ ابْتُذِلْتَ، ومثلُ مالِك ينْفَعُ

3- أم ما لجنبك لا يلائم مضجعًا إلا أقضَّ عليك ذاك المضجعُ

4- أودى بَنِيّ فأعقبوني حسْرةً بعد الرُّقاد، وعَبْرةً ما تُقْلعُ[2]

جملة "أوْدَى بَنيَّ" مستأنفة بعد "قالت أميمة"، وقد ارتبطت هذه الجملة المستأنفة بالجملة قبلها برابط حكاية المحاورة بتقدير "قلت"، أي: قالت أميمة ... قلت". ويجعلها البلاغيون

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 965. والماتح: الذي ينزل إلى أسفل البئر فيملأ الدلو، وذلك إذا قل الماء، أو الذي يسقي على رأس البئر، وهو الأنسب لمعنى البيت؛ لأن الذي يقف على رأس البئر يجذب الحبل من قاعه إلى أعلى، أما الذي في أسفل البئر فيصعد به ولا يجذبه. والكَرَب: عُقدُ الحبل على عوديْ الدلو اللذين يشبهان الصليب، وخانها: أي انقطع. انظر: هامش 3 ن ص.

(2) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 684. ابتُذِلت: ابتذلت نفسك بموت من كان يكفي ضيعتك من بنيك. أقضَّ عليك: صار تحت جنبك مثل قضيض الحجارة، وهي الحجارة الصغار. بعد الرقاد: بعد رقاد الناس. انظر: ن ص هامش 2، 3.

إجابة لسؤال مقدر، كأن سائلًا سأل بعد: "قالت أميمة": "فماذا قلت أنت؟"، فيأتي الجواب: قلت: أودى بنيَّ. وفي الحالتين يكون "قالت ... قلت" هي الرابط الدلالي بين الجملتين؛ باعتبارهما معًا حكاية للحوار(*).

ومن الاستئناف البياني وقوع الجملة المستأنفة في حيز السؤال المذكور. من ذلك قول علقمة ذي جدن الحميري في مقطع مرثيته ملوك قومه حمير:

24- هـــل لأُنـــاسٍ مثـــلُ آثـــارهم بمـــأربٍ ذاتِ البنـــاء اليَفَـــعْ

25- أو مثـــلُ صِرواحٍ ومـــا دونهـــا ممـــا بَنَـــتْ بِلْقَـــيسُ أو ذو بَتَـــعْ

26- لا، مـــا لِحَـــيٍّ مثـــلهِ مَفْخـــرٌ هيهـــاتَ، فـــازوا بـــالعُلا والرِّفَـــعْ[1]

فجملة "ما لحيٍّ مثلِه مَفْخَرٌ" مستأنفة بعد جملة السؤال المذكور "هل لأناس ..."، وبعد حرف الجواب "لا" غير العامل فيما بعده. والرابط بين الجملة المستأنفة وما قبلها هو دلالة الجواب التي هي تمام الكلام.

أما **الاستئناف المحض** فقد جاء بين الجملتين في عدة صور أيضًا:

- **منها التعداد** كما في سمط طرفة بن العبد:

66. أَرَى قَـبْرَ نَحَّـامٍ بَخِيـلٍ بَخيـلٍ بِمَالِـهِ كَقَـبْرِ غَـوِيٍّ في البِطَالَـةِ مُفْـسِدِ

67. تَـرَى جُثْـوَتَينِ مِـنْ تُـرابٍ، عَلَـيهِما صَـفائحُ صُـمٌّ مِـنْ صَـفيحٍ مُنَـضَّدِ

(*) وقد ذكر الهاشمي في رواية أخرى من مصادره الأخرى للجمهرة – غير الأصل الذي اعتمده وهو نسخة الفاتيكان [انظر: الجمهرة. ج1، ص 89] - بيتا قبل هذا البيت هو:

2- فأجبتُها: أمَّا لجسمي أنه أودى بَنِيَّ من البلاد فوَدَّعوا

3- أودى بَنِيَّ فأعقبوني .....

[انظر: الهاشمي: ج2، ص 684 هامش2]. وعلى هذه الرواية تكون جملة "أودى بني" توكيدًا لفظيًّا، وتكون جملة الجواب "فأجبتها" معطوفة بالفاء على جملة "قالت ...".

(1) الهاشمي: الجمهرة: ج2، ص 728. واليَفَع: المرتفع. والرِّفَع: جمع رِفعة. صرواح: حصن باليمن قرب مأرب، وبلقيس: ملكة سبأ، وذو بتع: ملك حمير. انظر: ن ص هامش 4، 5، 6.

69. أرى المَوتَ يَعتامُ الكِرامَ ويَصطَفي عَقيلَةَ مالِ الفاحِشِ المُتَشَدِّدِ

70. أَرى العمر كَنزًا ناقصًا كلَّ لَيلَةٍ وما تَنْقُصِ الأيَّامُ والدَّهرُ يَنفَدِ[1]

فهذه الجمل الثلاثة البادئة بالفعل "أرى" جاءت منفصلة كل منها عما قبلها، مستأنِفة لمعنى هو جانب من جوانب رؤية طرفة للحياة؛ الجانب الأول: استواء نهاية من يبخل بماله على نفسه وعلى السائلين، ومن ينفقه على ملذاته وعلى الطالبين، فكلاهما يطويه قبر منضد بالحجارة، مهيل عليه التراب. والثاني: اصطفاء الموت للكرام والبخلاء على السواء.

وقد عدّى طرفة فعل الاختيار مع الكرام للكرام أنفسهم؛ لأن نفوسهم هي القيمة التي يحملونها فيصطفيها الموت، بينما عدّى فعل الاختيار مع البخلاء إلى عقائل أموالهم؛ لأنها هي القيمة الحقيقية التي ينتزعها الموت. والثالث: أن كل نفس ستذوق الموت مهما امتد بها العمر. وأن مرور الليالي إنفاد للعمر والذي ينفد لا يعود. وقد اقتضى هذا التعديد لجوانب الرؤية فصل الجمل الثلاثة بعضها عن بعض؛ لتسليط الضوء على كل جانب على حدة، وإن كانت الرؤية في جوهرها واحدة.

ومنها عدم إرادة تشريك الجملة المستأنفة مع التي قبلها في الحكم الإعرابي: لأن التشريك سيؤدي إلى فساد المعنى. مثال عدم إرادة التشريك في الحكم الإعرابي، قول علقمة ذي جدن الحميريِّ في رثاء ملوك قومه:

15. فَكَيْفَ لا أَبْكِيهِمُ دَائِبًا وَكَيْفَ لاَ يُذْهِبُ نَفْسي الهَلَعْ

16. مِنْ نَكْبَةٍ حَلّ بنا رُزْؤُها جَرعنا ذا المَوْتِ مِنْهَا جَرَعْ

17. إذا ذَكَرْنَا مَنْ مَضىَ قَبْلَنَا من مَلِكٍ نَرْفَعُ ما قد رَفَعْ

18. فَانْقَرَضَتْ أَملاَكُنَا كُلّهُمْ وَزَايَلُوا مُلْكَهُمْ فَانْقَطَعْ

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 441- 442. والنحَّام: الذي يتنحنح عند السؤال، كناية عن البخل. يعتام: يختار. عقيلة المال: أنفَسَه عند أهله. الفاحش: القبيح السيئ الخلق. المتشدد: البخيل. انظر: ص 441 هامش3، 4، 7.

19. بَنَـوا لِمَـنْ خُلِّـفَ، مـن بَعْـدِهِمْ مَجْـدًا، لَعَمْـرُ اللَّهِ، مَـا يُقْتَلَـعْ[1]

جملة "بَنَوْا ..." مستأنفة لعدم تشريكها في الحكم الإعرابي للجملة قبلها. ويقتضي بيان عدم إمكان التشريك في الحكم الإعرابي وإلا فسد المعنى، بسط الجملة أولًا على النحو التالي:

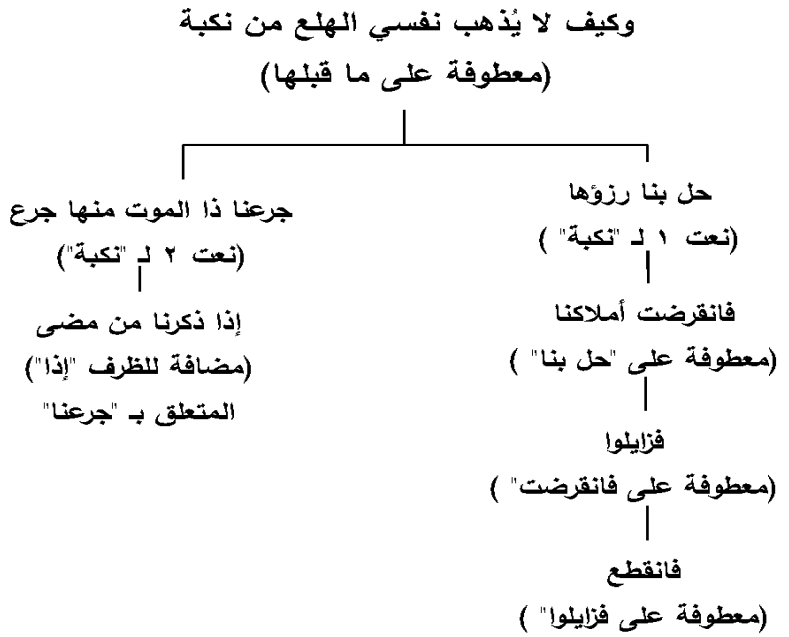

فلو عطفت جملة "بنوا" على جملة "فانقطع" قبلها، لكان البناء واقعًا بعد أن زايلوا ملكهم وانقطع، وهو معنى فاسد؛ لذا كانت الجملة مستأنفة استئنافًا محضًا لابتداء معنى جزئي جديد.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الصورة من صور الاستئناف المحض لم تأت في نصوص الجمهرة إلا في بدايات المعاني الجزئية والفرعية، وأنها تقل نماذجها قلة ظاهرة، وتكون بين جملتين لا يصح بينهما العطف ولا الاستئناف بأداة.

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 727. دائبًا: أي بكاء مستمرًّا. والأملاك: جمع مَلِك. زايلوا: فارقوا. انظر: ن ص هامش 7.

- **ومنها قصد إظهار الانفصال**: ويكون في المعاني الفرعية أو المتفرعة التي تشكل معًا معنى جزئيًّا. والجامع بين الجملتين في هذا البناء يستمد من السياق ومن سباق الجملتين ولحاقهما، اللذين هما جزء من هذا المعنى الجزئي أو كله، وليس من علاقة الجملتين مباشرة؛ لذا كان هذا النوع من أنواع الاستئناف المحض هو أخفى الأنواع جميعًا في الروابط الدلالية.

من نماذج هذا القصد لإظهار انفصال الجملتين قول مالك بن الريب التميمي في مرثيته:

2. فَلَيتَ الغَضَى لم يقطَعِ الركبُ عَرضَهُ ... وليتَ الغَضَى مَاشَى الركابَ لَيَالِيا
3. لقد كان في أهل الغضى، لو دنا الغضى ... مزارٌ، ولكنّ الغضى ليْسَ دانيا
4. أَلَمْ تَرَني بِعتُ الضّلالةَ بالهُدى ... وَأَصْبَحْتُ في جيشِ ابنِ عفّان غازيا
5. دَعاني الهَوى من أهل وُدّي وصُحبتي ... بِذِي الطَّبَسَين، فالتفتُّ وَرَائِيا[1]

فالجمل الثلاثة المستأنفة "لقد كان في أهل الغضى ... مزار" و"ألم ترني بعت الضلالة بالهدى" و"دعاني الهوى ..." منفصلات دلاليًّا كل منها عما قبلها؛ إذ لا تشكل معها بناء دلاليًّا متلاحمًا، لكن يمكن تلمس روابط دلالية خفية بينها، هي روابط حديث النفس غير المتسق بترتيب معين، لما تعانيه النفس من استشعار لحظة الوداع الأخيرة. فقد تمنى في مفتتح النص أن يبيت ليلة واحدة بجنب الغضى، وهو شجر ينبت في الرمل، وكان موضعًا لمقام أحبابه، يزجي القلاص النواجيا، مثلما كان يفعل من قبل. لكن هذه الأمنية غير قابلة للتحقق؛ فقد غادر ركبه الذي ارتحل فيه موضع الغضى، فيستأنف التمني أن لم يكن الركب غادر جنب الغضى، أو أن الغضى قد صاحب الركب – وهو مرتحل - ليالي يتزود فيها من أحبابه. وهذا الشطر الآخر من الأمنية ومن البيت – على غرابته - يرده إلى الواقع، أن البعد حائل بينه وبين رؤية أهل الغضى. ثم يقطع حديث التمني إلى حديث التَّقَوِّي على قسوة اللحظة بصحة الاختيار؛ اختيار الهدى على الضلالة، والغزو والجهاد على الفتك وقطع الطريق. ثم يدع حديث التقوى إلى حديث التشوق إلى أهله وصحبته الذين غادرهم وراءه بالبصرة. فهذه الانتقالات من معنى إلى معنى تدل على تسارع الخواطر والحالات وتزاحمها

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 760.

على النفس في هذه اللحظات الأخيرة، فجاءت الجمل مستأنفة لتعكس هذا التسارع في الانتقال من جهة، ولتربط بينها برابط شعوري أكثر منه دلالي من ناحية أخرى.

وآخر صور الاستئناف المحض الاستطراد:

منه قول دريد بن الصمة في منتقاته، يصف مشهد مصرع أخيه وصفًا مفصلًا من الأبيات 12 - 18 منه:

12- دَعـاني أَخـي وَالمـوت بَينـي وَبَينَـهُ فَلَـــمّا دَعـــاني لَم يَجِـــدني بِقُعـــدَدِ

13- أَخـــي أَرضَـــعَتني أُمُّـــهُ بِلِبانِهـــا بِثَـــديِ صَـــفاءٍ بَينَنـــا لَم يُجَـــدَّدِ

14- فَجِئـــتُ إِلَيـــهِ وَالرِمـــاحُ تَنوشُـــهُ كَوَقـــعِ الـــصَياصي في النَـــسيجِ المُمَـــدَّدِ[1]

فجملة "دعاني أخي ..." طالت بعدة جمل متعاطفات. وجاءت جملة الاستطراد "أخي أرضعتني" المحذوفة المبتدأ، والتي طالت بالخبر المتعدد "أرضعتني"؛ قطعًا لسياق العطف الذي يسرد أحداث المشهد المروع لمقتل أخيه، بمعنى متفرع معترض هو وصف صفاء الأخوة وكمالها بينهما، ثم يعود لسياق السرد. وعلاقة هذا المعنى بالسياق الذي اعترضته، أو المناسبة بينهما كما جاءت في تعريف الاستطراد، هو تبرير بكائه الدائم على أخيه، والذي لامته عليه زوجته فطلقها، وكأن تذكر الحدث الفاجع وسرد تفاصيله أهاج لوعته على أخيه، فانعطف إلى ندب ما كان بينهما من صفاء، ثم عاد إلى السرد.

4- بناء الجملتين الطويلتين:

إذا كان هذا المبحث مختصًّا بعلاقة الجملتين القصيرتين أو البسيطتين وطريقة بناء الثانية منهما على الأولى، فإن النظرة التحليلية لبناء النص الشعري يمكن أن تتسع لتشمل بناء الجملتين الطويلتين أيضًا، ورصد أنماط العلاقات بينهما.

ويمكن إجمال أنماط العلاقات بين الجملتين الطويلتين في نصوص الجمهرة إلى ثلاثة أنماط.

---

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 590. والقعدد: الجبان اللئيم القاعد عن المكارم والحرب. يجدد: لم يقطع. تنوشه: تتناوله. والصياصي: جمع صِيصة: وهي شوكة الحائك. انظر: ن ص هامش2، 3، 4، 5.

الاتصال النحوي الدلالي – الاتصال اللفظي الدلالي – الاتصال الدلالي.

الأول: الاتصال النحوي الدلالي:

ويكون بوظيفة نحوية واحدة هي العطف، ولكنه عطف جملة كلام على جملة كلام، يشكل كل منهما جملة نحوية طويلة. يقول عبد القاهر الجرجاني عن العطف إنه "موضوع على أنك تعطف تارة جملة على جملة، أو تعمد أخرى إلى جملتين أو جمل، فتعطف بعضًا على بعض، ثم تعطف مجموع هذه على مجموع تلك"(1). وإن كانت رؤية هذه الدراسة تمتد ببناء الجمل الطويلة إلي الجمل التي طالت بكل طرق الإطالة التي سبق تفصيلها في المبحث الأول، لا التي طالت بالعطف فقط.

وجاء في البحر المحيط في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾[مريم:63-64]: "وهذه الواو التي في قوله: "وما نتنزل" هي عاطفة جملة كلام على أخرى، واصلة بين القولين، وإن لم يكن معناهما واحدًا"(2).

وفي البحر المحيط أيضًا في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ [المؤمنون: 12]: "ولقد قال ابن عطية: هذا ابتداء كلام، والواو في أوله عاطفة جملة كلام على جملة وإن تباينت في المعاني. وقد بيَّنا المناسبة بينهما، ولم تتباين في المعاني من جميع الجهات"(3). فجملة الكلام هي مجموعة من الجمل المترابطة نحويًّا ودلاليًّا. والعطف بين هذا الجمل الطويلة يكون بالواو كما في هذه الآيات، وكما في النماذج التالية من نصوص الجمهرة، ويكون بالفاء المسبوقة بهمزة استفهام، وقد تكون الواو العاطفة كذلك مسبوقة بهمزة استفهام.

ويلاحظ اختلاف العلاقة النحوية الدلالية بين الجملتين الطويلتين عنها بين القصيرتين، أنها محصورة في وظيفة العطف، بينما تتنوع بين الجملتين القصيرتين تنوعًا كبيرًا كما سبق التفصيل.

---

(1) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 245.

(2) أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، ج 6، ص 203. نقلًا عن: د. عبد الخالق عضيمة: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ج3، ص 439.

(3) أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، ج6، ص 397، نقلًا عن: د عبد الخالق عضيمة: السابق، ج3 ن ص.

• من نماذج هذا البناء النحوي الدلالي قول النابغة الجعدي في مشوبته:

14- وتيهٍ عليها نَسْجُ ريحٍ مريضةٍ قطعتُ بِحُرْجوجٍ مُسانِدةِ القَرا[1]

تطول هذه الجملة حتى البيت الحادي والثلاثين:

31- تلألأ كالشِّعْرَى العَبورِ تَوَقَّدَتْ وكان عَماءٌ دونَها فتَحَسَّرا[2]

كلها في وصف هذه الناقة الحرجوج الضامرة. وقد سبق تحليل بناء هذه الجملة الطويلة في المبحث السابق، وتزيد الدراسة هنا تحليلها من جهة علاقتها بالجملة الطويلة قبلها، وبالجملة الطويلة بعدها. فقد جاءت هذه الجملة الطويلة في بناءٍ للجمل الطويلة في المشوبة على النحو التالي:

7. خَليليّ قد لاقَيْتُ ما لمْ تُلاقِيا وَسيّرتُ في الأحياءِ ما لم تُسيِّرا
8. تذكرْتُ، والذكرى تَهيجُ لذي الهَوَى ومن حاجةِ المَحْزونِ أن يتذكّرا
9. نَداماىَ عِنْدَ المُنْذِرِ بْن مُحرِّقٍ أرى اليَوْمَ مِنْهُم ظاهر الأرض مقفرا
10. كُهُولًا وشُبّانًا، كأَنّ وجوهَهُم دَنانيرُ ممّا شِيفَ في أرضِ قَيْصَرَا
11. وما زِلْتُ أَسْعى بَيْنَ بابٍ ودارِهِ بِنَجْرَانَ، حتى خِفْتُ أن أَتَنَصّرا
12. لدى مَلِكٍ مِنْ آل جَفْنَةَ، خَالُه وَجَدّاهُ مِنْ آل امرِئ القيسِ أزهرَا
13. يُدِيرُ عَلَيْنَا كأَسَهُ وشِواءَهُ مَناصِفُهُ والحَضْرَميَّ المُحَبَّرَ
14. وتيهٍ عَلَيْها نَسْجُ ريحٍ مَريضَةٍ قطعْتُ بِحَرْجوجٍ مسانَدَةِ القَرا
32. وَعَاديةٍ سَوم الجرادِ شَهِدتُها فكفّلْتُها سِيدًا أَزلَّ مُصدَّرا[3]

فالجملة في البيت السابع مستأنفة طالت بالعطف عليها. والجملة في البيت الثامن

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 775.
(2) الهاشمي: السابق، ص 779.
(3) الهاشمي: السابق، ص 779.

"تذكرت" بدل من جملة "لاقيت"، أو من جملة "سيرت"، أو هي عطف بيان على إحداهما؛ لأنه يفصل بها أو يفسر بها الملاقاة أو التسيير. والجملة في البيت الحادي عشر "وما زلت" معطوفة على "تذكرت" في البيت الثامن.

ثم تأتي الجملة في البيت الرابع عشر "وتيه ... قطعت" معطوفة بواو "رب" المحذوفة على مجمل الكلام السابق، أي على قوله: "قد لاقيت" وامتداداتها، أو على تفصيل هذه الملاقاة، وهو قوله: "تذكرت" وامتداداتها. فأداة العطف في هذه الجملة الطويلة هي واو رب المحذوفة التي عطفت جملة كلام على جملة كلام بينهما اتصال دلالي، هو الفخر بنفسه باستعراض حكمة الحياة التي حصلها، والتي جاءت في شكل جمل إنشائية شغلت الأبيات من 1 – 5، ثم بالجملة الخبرية في البيت السادس، التي يفخر فيها بوفوده على رسول الله ﷺ، واتباعه الهدى الذي جاء به. ثم بذكر دخوله على الملوك ومنادمتهم، ثم بذكر شجاعته بقطع الفيافي المخوفة على ناقة سريعة. وهكذا يتصل البناء الدلالي للجملتين الطويلتين متضافرًا مع البناء النحوي المتصل بينهما بواو العطف.

ويتكرر هذا النمط نفسه من الاتصال النحوي الدلالي بواو العطف في الجملة في البيت 32، والتي تطول بدورها حتى البيت 49، واصفة فرسه الذي يحارب أعداءه عليه، في استمرار دلالي لمعنى الفخر بنفسه. ويمكن بسط هذه الجمل على النحو التالي:

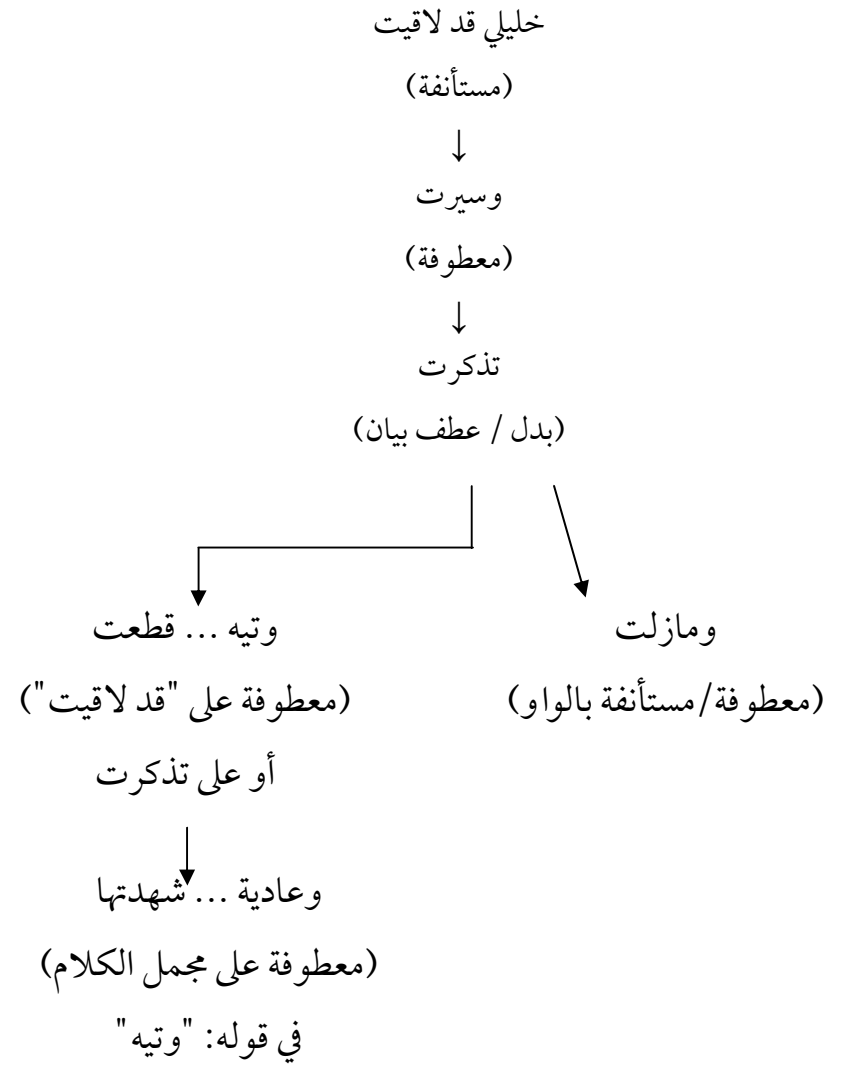

ومن نماذج العطف بالفاء لجملة كلام على جملة كلام جاء في نفس المعلقة في قول لبيد:

36- أفتلك أم وحشيةٌ مسبوعةٌ خَذَلتْ وهاديةُ الصُّوارِ قِوامُها[1]

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 363.

فالفاء من "أفتلك" التي فصلت بين همزة الاستفهام واسم الإشارة المبتدأ "تلك" هي عاطفة كما ذكر ابن هشام[1]، عطفت "جملة الكلام" الذي هو وصف لسرعة البقرة الوحشية التي يشبه بها سرعة ناقته طليح الأسفار، وهو وصف امتد في بناء جملة طويلة من البيت 36 حتى البيت 52؛ عطفت جملة الكلام هذه على "جملة الكلام" البادئ من قوله: "كأنها صهباءُ ... أو مُلْمِعٌ وَسَقَتْ":

22- بِطَليحِ أَسْفَارٍ..... .....

23- فإذا تَغَالىَ لَحْمُهَا، وَتَحَسَّرَتْ وَتَقَطَّعَتْ بَعْدَ الكَلاَلِ خِدَامُهَا

24- فَلَهَا هِبابٌ في الزِّمامِ، كَأَنّها صَهْبَاءُ راح مَعَ الجَنُوبِ جَهَامُهَا

25- أَوْ مَلمِعٌ وَسَقَتْ لأحْقَبَ لاَحَهُ طَرْدُ الفُحُولِ، وَضرْبُهَا، وَكِدَامُهَا[2]

والمعنى: أفتلك الأتان السريعة تشبهها ناقتي، أم تشبه البقرة الوحشية التي تأخرت عن القطيع، تبحث عن ولدها الذي افترسه السبع، فراحت كلاب الصيد تطاردها؟

الثاني: الاتصال اللفظي الدلالي: ويكون بالروابط اللفظية التالية:

أدوات الاستئناف (بل – لكن – حتى – الواو – الفاء) – الضمائر – المفردات المكررة. أسماء الإشارة. وتكون الجمل فيها مستأنفة مرتبطة بالجملة الطويلة قبلها بهذه الروابط، كما ترتبط بها دلاليًّا، عن طريق استمرار المعنى واستمرار أصل المعنى.

من نماذجه قول المرقش الأصغر في منتقاته:

8- وَمَا قَهْوَةٌ صَهْبَاءُ، كَالمِسْكِ رِيحُهَا تُطَان على النّاجُودِ طَورًا وَتُنْزَحُ

10- بِأَطْيَبَ من فيها إذا جِئْتُ طَارِقًا مِنَ اللّيلِ، بل فُوها أَلَذّ وَأَنْضَحُ[3]

(1) انظر ابن هشام: مغني اللبيب، ج1، ص 14-15.
(2) الهاشمي: الجمهرة، ج1، ص 358-359.
(3) الهاشمي: الجمهرة ج1، ص 555.

هذه الجملة الطويلة مستأنفة بالواو بعد جملة طويلة مستأنفة بلا أداة هي قوله:

3- أَمِنْ بنتِ عجلانَ الخيالُ المُطَوِّحُ ألمَّ ورَحْلي ساقطٌ مُتَزَحْزِحُ[1]

يصف في الأولى، في البيت الثالث، خيالها الذي يطيف به يقظة ومنامًا، حلًّا وترحالًا، ويصف في الثانية، في البيت الثامن، طيب ريقها. فالواو استأنفت معنى مباينًا لمعنى الجملة الطويلة في البيت الثالث، لكن هناك رابطًا دلاليًّا يربط بينهما، هو أن طيب فمها، وألوان أخرى من جمالها هو الذي جعل خيالها لا يفارقه حالًّا ومرتحلًا، فالعلاقة بين الجملتين المستأنفتين علاقة العلة بالمعلول.

ويلاحظ أن هناك روابط لفظية أخرى بين الجملتين هي: ضمير المؤنث المضاف في "فيها"، الذي يعود على "ابنة عجلان" في البيت الثالث، وضمير المتكلم الفاعل في "جئت"، والممتد في بناء الجملة في البيت 3 بين الضمير المضاف في "رحلي – وجدي"، وضمير الفاعل في "انتبهنا"، وضمير المفعول في (راعني – يعترينا)، وضمير المخاطب الملتفت إليه من المتكلم "لقلبك" .. كلها روابط لفظية دالة على استمرار العنصر الدلالي، وهو ذات الشاعر.

ولعل هناك تداخلًا بين العطف والاستئناف بحرفيْ الواو والفاء، يُشْكِلُ معه تحديد نوع الجملة معطوفة هي أم مستأنفة؛ ومن ثم يصعب تحديد النمط الذي تنتمي إليه من أنماط بناء الجملتين الطويلتين. وربما كان نوع الارتباط الدلالي بين الجملتين يصلح أن يكون أصلًا للتفرقة بينهما؛ فإذا كان الارتباط الدلالي بأصل المعنى فقط، ومن ثم تحتاج العلاقة بينهما إلى استنباط، كانت الواو أو الفاء للاستئناف، أما إذا كان الارتباط الدلالي بينهما باستمرار المعنى، وإن كان متنوعًا مع عناصر دلالية أخرى، كانت الواو أو الفاء عاطفة.

ومن نماذجه أيضًا قول الطرماح بن حكيم في ملحمته:

1- قَـلَّ في شَـطِّ نَهـرَوانَ اغـتِماضي وَدَعـاني هَـوى العُيـونِ المِـراضِ

2- فَتَطَرَّبـتُ للـصبا ثُـمَّ أوقفـت رِضًـا بِـالتُقى وَذو الـبِرِّ راض

(1) الهاشمي: الجمهرة ج1، ص 554.

3- وَأَراني المَليكُ رُشدي وَقَد كُن ... تُ أَخا عُنجُهِيَّةٍ وَاعتِراضِ

4- غَيرَ ما ريبَةٍ سِوى رَيِّقِ الغِرْ ... رَةِ ثُمَّ ارعَويتُ عِندَ البَياضِ

5- لات هنَّا ذكرى بُلَهْنِيَّةِ الده ... ر، وأنى ذكر السنين المواضي

6- فاذهبوا، ما إليكم خَفَضَ الده ... رُ عِناني وعُرِّيَتْ أنقاضي

7- وأهَلْتُ الصِّبا وأرشدني اللـ ... ـهُ بدهرٍ ذي مِرَّةٍ وانتقاضِ[1]

فالجملة الطويلة في البيت 6: "فاذهبوا"، والتي تمتد حتى البيت 9، مستأنفة بالفاء بعد الجملة الطويلة في ابتداء النص: "قل في شط نهروان اغتماضي"، والتي طالت حتى البيت 5، إلى قوله: "لات هنا ذكرى بلهنية الدهر"، وهي توكيد معنوي لجملة "ثم ارعويت عند البياض"، وقد تكون مستأنفة في سياق جملة طويلة. وتكون جملة "وأنى ذكرى السنين المواضي" توكيدًا معنويًّا ثانيًا مقترنًا بالواو أو معطوفة عليها[2]، وتكون الجملة في البيت السادس مستأنفة بعد الجملة الطويلة في البيت الأول.

ويلاحظ أن هناك رابطًا لفظيًّا آخر غير فاء الاستئناف بين الجملتين، هو ضمير الجمع المخاطب في "فاذهبوا" و"إليكم"، الذي يعود على "العيون المراض" في البيت الأول، كذلك ضمير المتكلم المضاف في "عناني" وأنقاضي" وهو رابط لفظي أصلي امتد على امتداد عناصر الإطالة في الجملة الطويلة في البيت الأول.

الأخير: الاتصال الدلالي:

وتكون فيه الجمل مستأنفة بلا رابط لفظي بالجملة الطويلة قبلها، لكن تستمر بعض المعاني، أو يربطها بها أصل المعنى.

---

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 987-988.

(2) ذكر د. عبد الخالق عضيمة في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۞ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ أن "الثانية مؤكدة، وجيء بـ"ثم" للدلالة على أن الوعيد الثاني أشد من الأول، وهو توكيد لفظي كما زعمه ابن مالك، ولا يضر توسط حرف العطف. والنحويون يأبون هذا ولا يسمونه إلا عطفًا، وإن أفاد التوكيد". انظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ج11، ص 17، ونقله عن "الجمل" 4:463.

من نماذجه قول أحيحة بن الجلاح في مذهبته:

5- فَمـــــن ذا كَـــــاهِنٍ أَوْ ذِو إلَهٍ إذا مـــا حَـــانَ مِـــنْ رَبٍّ أُفُـــولُ

6- يُراهِنُنـــي فَيَرهَنُنـــي بَنِيـــهِ وأَرهَنُـــهُ بَنـــيَّ بِـــمَا أَقُـــولُ

7- وَمـــا يَـــدري الفَقـــيرُ مَتـــى غِنـــاهُ وَمـــا يَـــدري الغَنِـــيُّ مَتـــى يَعيـــلُ

11- لعَمْـــرُ أبيـــك مـــا يُغنـــي مقـــامي مـــن الفتـــيان أَنجـــيةٌ جَهـــول

12- نئـــومُ لا يُقَلِّـــصُ مُـــشمَعِلا عَـــنِ العَـــوراتِ مَـــضجَعُهُ ثَقيـــلُ[1]

فالجملة في البيت 11 "لعمر أبيك" والتي تمتد حتى البيت 16 منفصلة لفظيًّا ونحويًّا. وعلى الرغم من الانفصال اللفظي النحوي بين الجملتين، فإن الرابط الدلالي بينهما هو التأكيد على معنى الجملة الطويلة قبله، التي تضمنت خبرته في الحياة، فتأتي هذه الجملة بمعنى أن تبعات السيادة ثقيلة، لا يحتملها إلا الرجال السادة، يؤكد هذا المعنى بأنه لم يجعله محمودًا مقامه سوى منافاته لذميم الصفات التي لا تغني في الحمد شيئًا. ويلاحظ أن هذا الرابط الدلالي أو العلاقة الدلالية بين الجملتين مستنبطة، وليست استمرارًا ظاهرًا للمعنى.

ومن نماذجه قول طرفة بن العبد في سمطه:

1- لِخَولَـــةَ أَطـــلالٌ بِبُرقَـــةِ ثَهمَـــدِ تَلـــوحُ كَبـــاقي الوَشـــمِ في ظـــاهِرِ اليَـــدِ

2- وُقوفًـــا بِهـــا صَـــحبي عَـــلَيَّ مَطـــيَّهُم يَقولـــونَ لا تَهلِـــك أَسًـــى وَتَجَلَّـــدِ

3- كَـــأَنَّ حُـــدوجَ المالِكيَّـــةِ غُـــدوَةً خَلايـــا سَـــفينٍ بِالنَواصِـــفِ مِـــن دَدِ[2]

فالجملة الطويلة المستأنفة في البيت الثالث "كأن حدوج المالكية .. خلايا سفين" والتي تمتد حتى البيت 5 منفصلة نحويًّا عن الجملة الطويلة الابتدائية "لخولة أطلال"، لكن العنصر الدلالي

(1) الهاشمي: الجمهرة، ج2، ص 658-660. أنجية: أي صاحب أنجية، وهي مجالس اللهو والعبث. يقلص: يشمر أو يبتعد. المشمعل: هو السريع الماضي. انظر: هامش 5 ص 659، هامش 1 ص660.

(2) الهاشمي: الجمهرة، ج 1، ص 420.

الممتد من الجملة الابتدائية إليها – وهو "المالكية"، الذي هو نعت لـ" خولة" – يصل الجملتين دلاليًّا، مع استمرارٍ ظاهرٍ للمعنى؛ إذ إن ارتحال خولة عن ديارها ببرقة ثهمد حوَّلها إلى أطلال باهتة بقاياها.

5- خصائص عامة لبناء الجملتين في نصوص الجمهرة:

يمكن استخلاص سمات عامة لبناء الجملتين في نصوص الجمهرة:

- **السمة الأولى**: صعوبة الحكم بوجود نسق عام للاتصال والانفصال بين الجملتين البسيطتين أو القصيرتين في نصوص الجمهرة. وأعني بالنسق العام اطراد مجيء طريقة معينة من طرق بناء الجملتين مع بناء دلالي معين، أو في موضع معين من القصيدة؛ كابتدائها أو ختامها. وهذه الصعوبة تكتنف الوحدات الأصغر في البناء؛ ألفاظًا وصورًا ودلالات، بعكس الوحدات البنائية الأكبر، التي يمكن اكتشاف نسق ونظام عام يحكم علاقتها وطرق بنائها، كما سبق بيانه في بناء الجملتين الطويلتين، يستثنى من ذلك: جملة التذييل في الشعر، والتي سبق بيان أنها جملة مؤكدة، وأنها تأتي في الشطر الثاني من البيت، وأيضًا جملة التوكيد التي هي صورة تشبيهية إذا جاءت عقب المعنى / المشبه، وكثيرًا ما تأتي في الشطر الثاني أيضًا.

- **السمة الثانية**: النمط **الخامس** من أنماط العلاقات بين الجملتين، والذي تقتضيه القسمة العقلية لهذه الأنماط، وهو الانفصال اللفظي النحوي الدلالي بين الجملتين البسيطتين والطويلتين، يكاد لا يوجد في نصوص الجمهرة؛ إذ لا تنفك الجملتان كلتاهما عن وجود علاقة دلالية بينهما، إما ظاهرة وإما خفية، تحتاج إلى استنباط كما سبقت الإشارة. ومثله الاتصال اللفظي والانفصال الدلالي، لا يكاد يوجد أيضا[1]. وتكون العلاقة أظهر كلما

(1) عقد جلال الدين السيوطي في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" بابًا هو التاسع والعشرون، سماه "في بيان الموصول لفظًا المفصول معنى"، ذكر فيه أن عدم معرفة ذلك يُشكل المعنى، أو يجعله مفهومًا على غير مراده. وذكر من أمثلته قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾[النساء: 101]، فقوله تعالى: "إن خفتم" مفصول عما قبله؛ لأنه شرط في صلاة الخوف لا في قصر الصلاة. ومثله قوله تعالى: ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [يوسف: 51 –52]، فإن قوله تعالى: "أنا راودته" هو كلام امرأة العزيز، وقوله: "ذلك ليعلم ..." هو قول يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن نفسه. انظر: الإتقان في علوم القرآن، مكتبة الحلبي، الطبعة الرابعة 1398هـ = 1978م، ط4، ج1، ص 119.

تعددت الروابط، وتحتاج في حال انعدام الروابط النحوية واللفظية إلى الاستعانة بالسياق، وسباق الجملتين ولحاقهما لفهم العلاقة بينهما.

- **السمة الثالثة:** حرفا العطف الواو والفاء هما أكثر حروف العطف التي تبنى بها الجملة في عطف النسق، يليهما في الكثرة حرف حتى الاستئنافية، ويقل استخدام باقي حروف العطف. وهذه ملاحظة تحتاج إلى دعم إحصائي. وتجدر الإشارة إلى حاجة الدرس النقدي إلى استقراء استخدام حروف المعاني في نصوص الجمهرة، والشعر الجاهلي والإسلامي عمومًا، واستكشاف دور هذه الحروف في بناء الجمل وفي بناء الدلالات.

- **السمة الرابعة:** غلب نمط العلاقة اللفظية الدلالية والعلاقة الدلالية على بناء الجمل القصيرة في الفصول الدلالية المبنية على المنافرات؛ مدحًا وفخرًا وهجاء وتهديدًا. نجد هذا في: الفصل الأخير سمط طرفة بن العبد – الفصلين الدلاليين الأخيرين في سمط لبيد بن ربيعة – مذهبة مالك بن العجلان ومعارضتها مذهبة عمرو بن امرئ القيس – الفصل الدلالي الأخير من مذهبة قيس بن الخطيم – الفصل الدلالي الأخير في مرثية النابغة الجعدي– الفصل الدلالي الثاني من مجمهرة عبيد بن الأبرص، وإن كانت في الحكمة لا المنافرات، فقد قصر طول الجمل في هذه النصوص؛ ومن ثم بنيت المعاني الفرعية والمتفرعة منها بطريق الاستئناف، برابط لفظي أو بدون رابط، كما سيأتي في مبحث طرق بناء الدلالات.

- **السمة الخامسة:** تشابه طرق بناء الجملتين الطويلتين مع طرق بناء الأغراض والفصول الدلالية في أنها: اتصال لفظي نحوي دلالي – اتصال لفظي دلالي – اتصال دلالي. وسوف يأتي تفصيل هذه الخاصية في السمة السادسة من سمات طرق بناء الأبنية الدلالية في مبحث طرق بناء الأبنية الدلالية.

❋❋❋